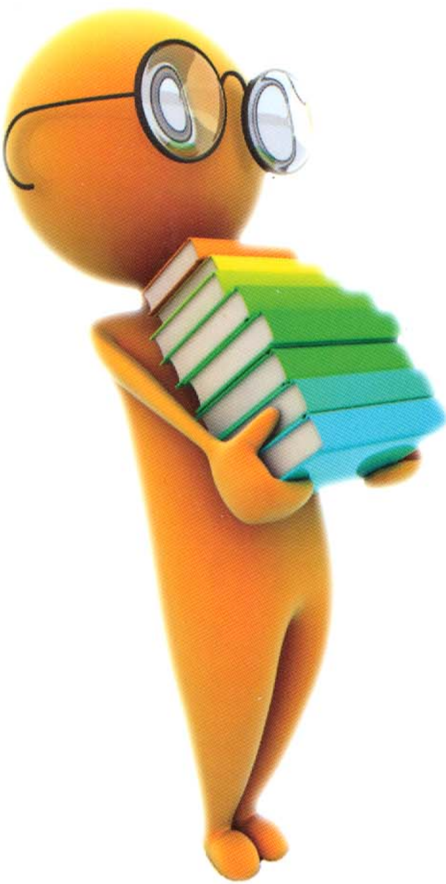
أ.د. عبد الكريم بكار

بية الرشيدة ٦

طفلٌ يقرأ

« أفكار عملية لتشجيع الأطفال على القراءة»



الإسلام اليوم
للنشر و التوزيع

● إحساس المرء بالمرح والسعادة، يساعده على الوصول إلى أفكار جديدة ومبدعة.

● القراءة هي متعة التجول في عقول الآخرين دون الاضطرار لتحمل رعوناتهم

ب هو الذي ينقل ثمرات
بشري من جيل إلى جيل،
ة كتاب لايجد من يقرؤه؟

طفلٌ يقرأ

«أفكار عملية لتشجيع الأطفال على القراءة»

أ. د. عبدالكريم بكار

طفل يقرأ

«أفكار عملية لتشجيع الأطفال على القراءة»

أ. د. عبدالكريم بكار

الطبعة الثانية

1432 هـ - 2011

ح/ دار وجوه للنشر والتوزيع ١٤٣١هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بكار، عبد الكريم محمد الحسن

طفل يقرأ. عبد الكريم محمد الحسن بكار

الرياض، ١٤٣١هـ   ١١٢ ص؛ ٢٢سم

ردمك: ٧-٢٩-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨

١- القرأة ٢-الأطفال - تعليم أ. العنوان.

ديوي ٣٧٢,٤١   ١٤٣١/٩١٣٦

رقم الإيداع: ١٤٣١/٩١٣٦

ردمك: ٧-٢٩-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨

التنفيذ الفني والنشر والتوزيع

دار وجوه للنشر والتوزيع

Wojooh Publishing & Distribution House

www.wojoooh.com

المملكة العربية السعودية - الرياض

ت: 4918198 فاكس: تحويلة 108

للتواصل والنشر:

wojoooh@hotmail.com

مؤسسة الإسلام اليوم

إدارة الإنتاج والنشر

المملكة العربية السعودية الرياض

ص.ب. 28577 الرمز : 11447

هاتف : 012081920

فاكس : 012081902

info@islamtoday.net

www.islamtoday.net

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا هو الجزء السادس من سلسلة (التربية الرشيدة) حيث خصَّصته للحديث عن تشجيع الأطفال على القراءة، وتحبيب الكتاب إلى نفوسهم، وقد كان الجزء الأول من هذه السلسلة بعنوان : ((مسار الأسرة)) أما الجزء الثاني، فقد كان بعنوان (القواعد العشر)، وكان الثالث بعنوان (التواصل الأُسري)، أما الرابع فقد كان بعنوان (المراهق)، وكان الخامس بعنوان (مشكلات الأطفال) وقد لقيت هذه السلسلة إقبالاً جيداً من الإخوة القراء مما يدل على تنامي الوعي بأهمية الثقافة التربوية، وإنّا لنتطلع إلى المزيد ...

إنني أستطيع أن أقول بثقة تامة : إن عصرنا هذا هو عصر العلم والمعرفة والمعلومة و(الكتاب) وإن من غير الممكن اليوم لأي أمة أن تكون في مصافِّ الدول الصناعية الكبرى من غير تحسين السويَّة المعرفية لدى شعوبها، وإن تنشئة الأجيال الجديدة على حب القراءة هي الخطوة الأولى والشاقة في هذه السبيل . وقد حاولت في هذا

الكتاب ـ كما هو الشأن في باقي أجزاء هذه السلسلة ـ أن أكسر المعادلة الصعبة من خلال تقديم مضمون راقٍ وعميق وموثوق لكن بصياغة سهلة وميسَّرة قدر الإمكان، حتى يكون متاحاً لأكبر شريحة ممكنة من القراء؛ وإني لأسأل الله ـ تعالى ـ أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله ذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون؛ إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه

أ. د . عبد الكريم بكار
في ٢٣ / ٥ / ١٤٣١



1

■ لماذا نهتمُّ بتشجيع الطفل على القراءة ؟

ينسبون إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان». وهذا هو عين الحقيقة، حيث إن الله ـ تعالى ـ فطر الإنسان على الاحتياج إلى الكثير من الأشياء، وليس الطعام والشراب سوى شيء يسير من حاجاتنا، وإن الكمال البشري والتقدم الإنساني منوطان بمدى إشباعنا لحاجاتنا الروحية والنفسية والعقلية؛ وعلى مدار التاريخ كان إدراك الناس لحاجات الجسد أوضح وأقوى من إدراكهم لحاجات الروح والعقل، وهذا مفهوم فتلبية حاجات الجسد من أجل البقاء أحياء، أما تلبية حاجات العقل والروح فمن أجل التعرف على الله ـ تعالى ـ وفهم الإسلام حق الفهم ومن أجل السعادة والارتقاء ورؤية الكون على ما هو عليه، وهذه لدى الوعي البشري لا تُصنَّف مع الضروريات .أما الآن فلعلي أوجز المحفِّزات على الاهتمام بتحبيب القراءة للأطفال في النقاط التالية :

١ـ السنوات الست الأولى هي السنوات الحاسمة في تشكيل رغبات الطفل وميوله واتجاهاته ... ولهذا فإن الاهتمام بتحبيب القراءة إليه في هذه السن يُعد مهماً للغاية، وبعض الأهل يظنون أن الرغبة في

القراءة أو عدم الرغبة، من الأمور التي تولد مع الطفل، ولهذا فإنهم لا يبذلون أي جهد يذكر في تحفيز أبنائهم، وبعضهم يظنون أنهم يستطيعون جعل الطفل يمارس القراءة متى ما شاؤوا، ولهذا فإنهم يهملون هذا الأمر، فيكبر الطفل، ويدخل في مرحلة المراهقة دون أن يصبح له أي شغف بالقراءة . وإن لدينا عدداً كبيراً من الشواهد والدلائل على أننا إذا لم نزرع في نفس الطفل التآلف مع الكتاب في الصغر، فإن من الصعوبة بمكان أن ننجح في ذلك في الكبر. وكما أن زراعة كثير من الخضروات لا تتم إلا في بداية الشتاء، وبعضها لا يتم زرعه إلا في الربيع فإن لتوجيه الرغبات وبناء الاتجاهات وقتاً مثالياً، لا ينبغي التأخر عنه. أحد الآباء لم يفطن إلى تعويد ابنه القراءة إلا بعد أن صار في الحادية عشرة من عمره، وحين أراد ذلك وجد أن ابنه قد تعلق بالكثير من الألعاب والأصحاب، وصار مدمناً على متابعة بعض القنوات ... فلم يستجب لنصائح أبيه، بل كان يُظهر نحوها نوعاً من الاستغراب والتذمر، وصار الأب يشكو من ذلك، ويقول : قلت لابني : أنا مستعد لشراء أي كتاب يريده، كما أنني اشتريت له دراجة غالية الثمن حين وعدني بأن يقرأ كل أسبوع قصة مناسبة لعمره، لكنه لم يف بوعده، والآن صار يتنقل من صف إلى صف بصعوبة، وصارت درجاته متدنية ... ! أنا أرجو من الآباء والأمهات أن يدركوا أن الوقت ليس مفتوحاً أمامهم، وأن الفرصة محدودة، فإذا فاتت تعذر استدراكها

٢ـ لممارسة القراءة في وقت مبكر علاقة كبيرة بالتفوق الدراسي في المراحل المختلفة، وذلك لأن النبوغ والإبداع والتفوق الواضح جداً على الأقران، لا يتم من خلال الاقتصار على دراسة المناهج المدرسية،

بل لا بد لمن يريد ذلك من أن يكون لديه نوع من الوَلَه والشَّغَف بالقراءة واصطحاب الكتاب حتى يقرأ في اليوم ساعات طويلة، بل حتى يكون البحث والاطلاع مجدياً ومفيداً، وقد دلَّ عدد من الدراسات على أن مهارات القراءة التي يكتسبها الطفل في الصف الأول الابتدائي، هي نفس المهارات التي يعود إليها ارتفاع درجات الطالب في الثالث الثانوي، ولهذا فإن من مهام الآباء والأمهات أن يجعلوا الهدف الجوهري من وراء تعليم الأطفال هو تحبيب الكتاب إليهم وجعلهم يقرؤون يومياً كما يمارسون الأكل والشرب واللعب، وذلك لأن الأطفال الذين لا ينجذبون إلى القراءة كثيراً ما تكون درجاتهم ضعيفة حتى لو درسوا في أفضل المدارس، وهذا يعود إلى أن الطفل حين يفقد الانجذاب إلى الكتاب، فإنه سيبذل الحدّ الأدنى من الجهد، وسيجد متعته في اللهو واللعب، وهذا هو الحاصل لدى معظم الأطفال مع الأسف الشديد !.

٣ـ حب القراءة يفتح أمام الطفل باباً واسعاً للرقي الروحي والعقلي، كما أنه يوسِّع في مداركه ويحسِّن قدرته على التخيل، ولعلي أوضح هذا عبر المفردات الآتية :

أ ـ حين يصبح لدى الطفل نوع من الإدمان على القراءة، فإنها تصبح في حياته من متع الحياة الرئيسية، وقد رأيت طفلاً في الحادية عشرة وقد غرق في قراءة قصص الصحابة –رضوان الله عليهم ـ إلى درجة أنه لا يترك القصة التي بين يديه مع تكرار دعوة والدته له للقيام إلى الطعام، وفي بعض الأحيان تصبح الغرفة التي يقرأ فيها مظلمة، ولا يقوم إلى إضاءة المصباح من شدة تعلقه بالكتاب !. و أصبح الطفل كهلاً، وهو يعد اليوم واحداً من أشهر عشرة أشخاص في تخصصه

على مستوى العالم !.

الأطفال يشعرون بالكثير من الإثارة حين يقرؤون بعض القصص الفكاهية وبعض قصص الرعب، ويشعرون بالكثير من السمو حين يقرؤون في سير بعض العظماء، **ولطالما سمعنا من الأطفال من يقول: سأكون مثل فلان، وذلك حين يُعجَب بأخلاقه ومواقفه من خلال ما سمع أو قرأ عنه، إن من فضائل القراءة أنها تبعث في نفوس الأطفال الطموحات العالية، وتجعلهم يحلمون بالأحلام الكبيرة، وإن كل العظماء بدؤوا بالسير في طريق العظمة من خلال أحلامهم وتطلعاتهم وأمنياتهم**

ب ـ تلعب القراءة دور المنقذ للأطفال الذين يعيشون في بيئات جاهلة أو فقيرة فقراً مدقعاً، **حيث إن البيئة المحطمة تقتل طموحات الصغار، وتجعلهم يرضون بأي شيء، وهنا يأتي دور القراءة لتُخرج الطفل من فضائه الضيق المحدود ومن زمانه الصعب إلى فضاء واسع جداً وزمان ممتد بامتداد التاريخ، ولهذا** فإن القراءة بالنسبة إلى بعض الأطفال هي حياة تساوي الحياة نفسها، وإن أبناء الأسر الأمية والفقيرة يحتاجون إلى القراءة أكثر من غيرهم حتى لا يقعوا ضحية لليأس والقنوط وضيق الأفق؛ **ونحن نعرف أن مقاييس الذكاء أخفقت في قياس القدرات الذهنية للأطفال معزولةً عن الحصيلة الثقافية لديهم، ومن هنا فإنك تلاحظ أن الأطفال الذين يقرؤون كثيراً يثقون بأنفسهم ثقة عالية، ويتصرفون على أنهم أذكى من أقرانهم وأفضل خبرة . أحد الأطفال الذين لم يبلغوا الخامسة بعدُ ظفر بعناية خاصة من والدته، وهو إلى جانب ذلك يدرس في روضة جيدة، وهذا جعله يشعر بنوع من الاعتزاز بذاته، كما جعله يتصرف**

وكأنه شخصية مستقلة تمام الاستقلال مع براعة في استخدام اللغة، في إحدى المرات أراد والده الخروج من البيت، ورغب الصغير في الخروج معه، لكن الأب قال له : عليك أن تبقى هنا اليوم، وليس من حقك الخروج ... فما كان من الصغير إلا أن قال لأبيه : أبي أنت لست مديري حتى تمنعني من الخروج ! فضحك الأب، وتعجب من كلامه، وأخذه معه ! . الطفل نفسه أساء إليه أخوه الذي كان في الثامنة من عمره، وأحسَّ الأخ الكبير بخطئه، فاعتذر إلى أخيه الصغير عن ذلك، فما كان من الصغير إلا أن قال له ـ كما حدثني أبوه:– فاتت الفرصة !.

ج ـ أطفالنا في أمس الحاجة إلى أن يقرؤوا القصص، ويسمعوا الحكايات التي تهذب نفوسهم، وتسمو بعواطفهم ومشاعرهم، فنحن في زمان حل فيه الشعور بالتفوق في محل الشعور بالرحمة، وحلت فيه الأنانية في محل الشعور بالتعاطف مع الآخرين ومساندتهم في أوقات الشدة، وقد ذكرت إحدى الأمهات أنها لاحظت أن ابنتها البالغة من العمر عشر سنوات تود أن تستحوذ على كل شيء، وهي قد تكذب لتستولي على أشياء ليست لها، كما لاحظت تلك الأم أن ابنها البالغ من العمر سبعَ سنوات يدوس أي نملة أو حشرة تتحرك أمامه بعنف وقسوة، وكأن له ثأراً عند المخلوقات الضعيفة، فما كان من الأم إلا أن ذهبت إلى المكتبة وأحضرت عدداً من القصص التي تتحدث عن الكرم والمعاونة وعن الرفق بالحيوان، تقول الأم : إن القصة التي تركت أعظم الأثر في نفوس الأطفال قصة (القطة العمياء) وهي قصة تتحدث عن قطة فقدت بصرها وهي حامل، وحين وضعت صغارها كانت المشكلة التي تواجهها هي كيفية رعايتهم والطمأنينة

أنهم مازالوا قريبين منها، تقول الأم : سردت هذه القصة على أطفالي أكثر من عشر مرات، وفي كل مرة كان يبكي بعضهم تأثراً بما يسمعون، وأحدهم قال في أحد الأيام ببراءة تامة : أمي لماذا لا نأتي بتلك القطة إلى بيتنا حتى نساعدها على تربية صغارها ؟!.

٤ـ يكفي تعلق الطفل بالكتاب فضلاً أنه يملأ وقته، ويصرفه عن الجلوس أمام التلفاز والانهماك في ألعاب الكمبيوتر، والحقيقة أن كثيراً من الأهل يشعرون أن التلفاز يساعدهم على شغل أطفالهم عنهم وعن ممارسة الأذى ضد بعضهم، كما يساعدهم على أن يكونوا هادئين ومنضبطين، وهذا تصور خاطئ للأمور، إن التلفاز أداة للتسلية، لكنه قد يبث الكثير من الأفكار والمفاهيم السيئة في عقول الأطفال، ولهذا فإنه لابد من أن نحدد مدة زمنية لجلوس الطفل أمامه، وكلما كبر سن الطفل كان علينا أن نجعل مدة جلوسه أمام التلفاز أقصر. أحد الآباء قال : وجدت أن ابني وابنتي - واللذان يدرسان في المرحلة الابتدائية- قد تعلقا بالتلفاز تعلقاً شديداً، فما كان مني إلا أن أغلقته مدة أسبوعين، فانصرفا إلى الرسم والقراءة واللعب بألعاب الذكاء، وحين أتحت لهما النظر إلى التلفاز بعد ذلك خفّ حبُّهما لمشاهدته، وصار لهما نوع من الشغف بالمطالعة، وهذا ما ينبغي أن يفعله كل واحد منا .

إن فوائد حب الأطفال للقراءة أكثر من أن تحصى، والأمل معقود على تشكل اهتمام قوي ومبادرات كبرى بهذا الأمر، حيث قد فاتنا الكثير من الخير ولم يبق لدينا وقت إضافي كي نضيِّعه، وأود أن أختم كل هذا بقول الإمام الربانيِّ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ : ((حب القراءة من النعيم المعجَّل للمؤمن في الدنيا)) .

وعي لا بد منه

لدينا طاقات هائلة، وإمكانات ضخمة، لكنها في نهاية الأمر محدودة، ولهذا فإن لكل واحد منا أولويات يصرف إليها اهتماماته وجهوده، وهنا بالضبط تكمن مشكلة القراءة، حيث إن ترسيخ عادة القراءة في سلوك الأطفال يحتاج إلى جهد ووقت وصبر، وهذه تحتاج إلى اهتمام متواصل لدى الآباء والأمهات، وهذا الاهتمام لا يأتي من فراغ، بل لابد أن يسبقه وعي حسن بقيمة ما ينبغي أن نتعب من أجله، ونجد في هذا الإطار أن كثيراً من الأسر لم يُتَح لها الاطلاع على الأدبيات المتعلقة بتحبيب القراءة إلى أطفالها، وبعض الأسر لديه الكثير من الأوهام والمفاهيم الخاطئة في هذا الشأن، ومن أجل التخلص منها كان هذا الكتاب .

والآن إليك بعض الأفكار المهمة التي نحتاج إليها في تشكيل وعي جديد حول قراءة الطفل، أوجزها في النقاط الآتية :

١ ـ استهداف ترسيخ عادة القراءة لدى الطفل :

إذا عرفنا ما يمكن أن تُحدِثه ممارسة القراءة في حياة الطفل من تغيير إيجابي، فإننا سنحفزه عليها دون شك، وإني أكاد أجزم أنك لا تكاد ترى أباً واحداً لم يحث ولده في يوم من الأيام على المطالعة واصطحاب

الكتاب، فالناس يعرفون على نحو عام قيمة العلم وتأثيره في حياتهم، لكن لدينا ما يكفي من الدلائل على أن حث معظم الآباء لأبنائهم على القراءة لم يأت بأي ثمرة تُذكر، ولهذا فإن المطلوب من الآباء والأمهات أن يجعلوا حب أطفالهم للقراءة واحداً من أهم أهدافهم التربوية الثابتة، وذلك لأن الطفل لا يستوعب ما نطلبه منه بالسرعة الكافية كما أن الأسباب التي تصرفه عن القراءة كثيرة . أحد الآباء عاش حياة قاسية جداً وبدخل متدنٍ للغاية، وكان يشعر أن أميَّته هي السبب الرئيس وراء العوز والضنك الشديد الذي قضى فيه معظم حياته، ولهذا فقد كان تعليم ابنه الوحيد و العمل على مساعدته كي يصبح واحداً من الأعلام في منطقته ـ هو الهمَّ الأكبر المسيطر عليه، ومن هنا فقد ذهب إلى إمام المسجد في حيه، وطلب منه أن يدله على بعض الكتيبات التي يمكن أن يستعيرها من مكتبة المسجد، وكان باستمرار يطلب من جاره ـ المعلم في الابتدائية المجاورة لبيته ـ أن يشتري بعض القصص المناسبة لسن ابنه، وكلما زاره صديق معه طفلٌ نابه شجَّعه على اللعب معه، وحثه على أن يعيره بعض القصص والكتب التي يقرؤها، أما تردده على مدرسة ابنه وسؤاله مدرِّسيه عنه، فهذا ما يفوق كل خبرة معتادة في هذا الشأن .. أنشطة كثيرة جداً ساعدت الطفل على أن يصبح متميزاً جداً، وصار والده ـ على الرغم من أميته ـ مثار إعجاب كثير من الآباء ومرجعاً لهم !.

إن الاهتمام مع المثابرة يصنعان العجائب ؟ وتحبيب القراءة إلى الأطفال يحتاج إليهما معاً بصورة أساسية

٢ـ قطار لا يفوت :

نحن نعرف أننا كلما بكَّرنا في القراءة للطفل والقراءة معه، و تمكَّنا من

جعله يهتم بالقراءة، ويباشرها ـ كان ذلك أحسن، لكن وعينا بكل هذا قد يأتي متأخراً، وأحياناً يكون حرصنا شديداً، لكن لظروف معينة قد تتأخر استجابة الطفل لرغبتنا، وفي كل الأحوال فإن قطار الإقبال على القراءة لا يفوت، ونحن نعرف عشرات الأمثلة لأشخاص تفتَّح وعيهم على القراءة وهم في المرحلة المتوسطة أو الثانوية ... وهناك من أقبلوا على الكتاب وهم في سن الثلاثين وسن الأربعين، المهم دائماً ألا نفقد الأمل، وألا نفقد العزيمة على تشجيع الأطفال، وإلى جانب هذا علينا أن نبحث بعمق في عدم استجابة الصغار للحث على القراءة، حيث إن بعض الآباء يتَّبعون أساليب خاطئة في محاولاتهم تحبيب الكتاب إلى الأطفال، فينفِّرونهم عوضاً عن أن يقرِّبوهم. نقول هذا ونقول شيئاً آخر، هو: أن الأهل قد يبذلون أقصى جهد لديهم في تشجيع أولادهم على القراءة، وقد يتبعون أفضل الأساليب دون الشعور بأي جدوى، وهذا مفهوم جداً حيث إن بعض المعلمين قد يكونون هم السبب في تنفير الطفل، وقد يفعل ذلك الأصدقاء، وقد يحدث هذا بسبب صعوبات في التعلم يعاني منها الطفل دون أن ينتبه إلى ذلك أحد... لهذا علينا أن نتحرى الأسلوب الصحيح في التربية والتوجيه، ونقرنه بالدعاء الخالص بالتوفيق والنجاح والهداية .

٣ـ المراحل العمرية والقراءة :

الاهتمام بارتقاء عقلية الطفل وتثقيفه وترسيخ حب القراءة في نفسه ... يبدأ في مرحلة مبكرة جداً من عمره، حيث إن من الدراسات ما يشير إلى أن الطفل يمكن أن يستفيد من القراءة وهو ما يزال جنيناً في بطن أمه، يقول بعض الدراسات : إن الطفل حين يبلغ الشهر السابع فإن تعرضه لسماع معلومات منظَّمة، يجعل تفتحه الذهني أفضل في المستقبل، ولهذا

فإنك تجد وأنت تمشي في إحدى الحدائق في كندا ـ مثلاً ـ امرأة أسندت ظهرها إلى شجرة، وأخذت تقرأ بحماسة وبصوت مرتفع، وحين تسألها عن سبب رفع صوتها، تقول :أقرأ للجنين الذي في بطني !.

وهكذا فرحلة ترغيب الطفل في القراءة تبدأ قبل ولادته، وبعد ولادته يستمر الاهتمام بذلك . إن القراءة للطفل وسرد الحكايات على مسمعه هي الشيء الوحيد الممكن في أول حياته، وعلى الأم التدرج في ذلك على مستوى الزمن المستغرق و على مستوى المضمون أيضاً.

ويمكن للأم أن تمضي وفق الآتي :

أـ حين يكون الطفل رضيعاً، فإن من المناسب أن تقص الأم على مسمعه حكاية قصيرة تستغرق دقيقة أو دقيقتين، ويستحسن أن تكون جملها قصيرة وذات إيقاع محدد، ويمكن للأم أن تستعيض عن ذلك بشيء من أغاني المهد و(الهدهدة) التي تعودت الأمهات في كل مكان من العالم إنشادها لصغارهن من أجل النوم أو الكفَّ عن البكاء، أو من أجل إمتاعهم. المهم أن يكون ما تقوله الأم ذا إيقاع مختلف عن الكلام العادي، وهناك ما يشير إلى أن الطفل وإن كان في هذه المرحلة من عمره لا يعرف معاني الكلمات إلا أنه يستمتع بما يسمع، كما أن القصص وأغاني المهد تنشِّط مهارات الإصغاء والاستماع لديه، وهذا مهم في مجتمعات تعوِّد فيها الناس مقاطعة بعضهم أثناء الحوار، والانشغال عن المتحدث بأمور تافهة.

ب ـ حين يبلغ الطفل سن الثالثة، فإن مدة القراءة له من قصة أو سردها عليه شفهياً تصبح أطول قليلاً لتصل إلى خمس دقائق، وذلك لأن قدرة الطفل على الإصغاء والتركيز مازالت محدودة، ويُستحسن في هذه المرحلة العمرية أن تدور القصص والحكايات حول أشخاص

وأشياء يعرفها الطفل، فذلك يساعده على فهم واستيعاب ما يُحكى له، شيء جميل أن تحدِّث الأم الطفل عن حب أبيه له، وأنه يسعى دائماً لإحضار الحلوى له، وأن تحدثه عن اهتمامها براحته وحمايته، وأن تحدثه عن أخيه الكبير، وأنه سيحضر له الأشياء التي يحبها، كما أن من الجميل أن تحدِّثه عن الحيوانات الأليفة ورحمتها والرفق بها، وإحضار الطعام لها .. وإن الأم يمكن أن تعيد الحكايات التي تشعر بحب الطفل لها وتفاعله معها، ومن الواضح أن الأطفال يتفاعلون مع بعض الأناشيد وبعض القصص، ويلحّون على تكرارها لأسباب غير معروفة، وتظل تلبية رغباتهم في هذا شيئاً جيداً .

ج ـ حين يبلغ الطفل الخامسة فإن درجة استيعابه لما يسمع تتحسن كثيراً، كما أنه يصبح مستعداً لأن يسمع أكثر وأكثر، ولهذا فإن في إمكان الأم أن تجعل الحكاية التي تحكيها له تمتد إلى عشر دقائق، ومن المهم أن ندرك أن صبر الأطفال على الإصغاء ليس واحداً، ولهذا فإن على الأم أن تختم حكايتها بمجرد شعورها بملل صغيرها وضعف انجذابه إلى حديثها . يرتاح الطفل في هذه المرحلة من عمره إلى سماع القصص والحكايات التي يتحدث فيها الحيوان بلسان الإنسان كما يرتاح لسماع قصص الحكايات اليومية، إحدى الجدات المرحات كانت تحدث أحفادها وحفيداتها عن ذلك الفتى الذي درس بجدية عالية من أجل الاختبار في اليوم الثاني، لكن تأخره في السهر جعله لا يستيقظ في الصباح مما جعله يتأخر عن الذهاب إلى المدرسة، وكان رسوبه بالتالي في تلك المادة التي حفظها عن ظهر قلب، وكانت تقول لهم: ماذا على الواحد منهم أن يفعل حتى لا يحدث معه ذلك، وكان الجواب الذي يصيحون به بصوت واحد: أن ننام مبكرين . وكانت

أحب القصص لديهم قصة ذلك الطفل الذي مدَّ يده إلى جيب والده، وأخذ من محفظته مبلغاً كبيراً من المال، وحتى لا يُفتضح أمره عمد إلى دفن المال في أرض فضاء قريبة من منزله، ثم بعد ذلك لم يستطع الاهتداء إلى ذلك المكان، وبعد أن شرحتْ لهم أن أخذ أشياء الآخرين من غير رضاهم هو شيء سيِّئ جداً صار الأطفال يُظهرون نوعاً من الشماتة بذلك الطفل ....

د ـ حين يبلغ الطفل السادسة فإنه يكون قادراً على سماع الحكاية ولو امتدت إلى خمس عشرة دقيقة، ويُبدي الطفل في هذه السن اهتماماً شديداً بالقصص الخيالية والهزلية، وأنا أنصح بالإكثار من الحكايات المضحكة، فالمرح هو قوت الروح، والطفل حين يستمع إلى ما يُضحك يخف التوتر لديه، ويشعر بالامتنان لمن يُضحكه، والأهم من هذا أنه يصبح مولعاً بسماع الحكايات المختلفة. في هذه السن كذلك يبدأ الطفل بالتفريق بين الواقع والخيال، ونحن نعرف أن ابن الثالثة والرابعة يخترع الكثير من القصص والأحداث ظناً منه أن كل ما يتصوره هو شيء واقعي موجود، أي لا يشترط لصدق الكلام مطابقته للواقع، أما في سن السادسة فإنه يعي أنه ليس كل ما يمكن تصوره يكون موجوداً فعلاً، ومن هنا فإن هذه السن مناسبة جداً لترسيخ فضيلة الصدق في نفس الطفل وذلك من خلال محاسبته على الكذب وشرح أضراره له .

يُستحسن في هذه السن أيضاً تناول حكايات الأمهات لمبادئ الإيمان والتوحيد .وتوضيح فضل الله ـ تعالى ـ على الناس وأنه الخالق الرازق الذي نحبه ونُجلُّه، ونرجوه ونعبده ونطيع أمره، المهم في كل هذا عدم التكلف وعدم إشعار الطفل بأننا نعظه أو نخوِّفه . وقد

نعود إلى هذه المسألة في سياق آخر بإذن الله تعالى .

٤ـ أهمية فهم الطفل لما يقرؤه :

يظل فهم الإنسان لما يقرؤه هو الهدف الرئيس للقراءة، ولا يُستثنى الطفل من ذلك، ومن هنا فإن من المهم أن نتأكد من أن الطفل يفهم فعلاً ما يقرأ، وقد أصبح الوقوف على هذا سهلاً اليوم حيث صار المؤلفون والناشرون يكتبون على أغلفة القصص والكتب الموجَّهة للأطفال عمر الطفل الذي يستهدفه المنتَج . إذا لاحظت الأم أن ابنها أعرض عن قراءة بعض القصص التي أحضرتها له، فإن هذا قد يعني أن تلك القصص أعلى من قدرته على الفهم، وفي هذه الحالة فإن عليها أن تقرأ القصة معه، لتشرح له الكلمات الغامضة والجمل الملتبسة، وقد تلاحظ الأم أن لدى طفلها نوعاً من البطء، في الفهم وشيئاً من الانخفاض في قدرته على الاستيعاب، وفي هذه الحالة فلا بأس في البداية أن تشتري له بعض القصص المصمَّمة لفئة عمرية أقل، إذ يمكن أن تشتري للطفل إذا كان في التاسعة قصصاً مخصصة لأبناء السابعة، وحين يتحسن مستواه ويتدرب ذهنه على الفهم، وتزيد ثروته اللغوية تعود إلى القصص المؤلفة لمن في سنه . إحدى الأمهات لاحظت أن ابنها الصغير لا يستوعب ما يقرأ، فعهدت إلى أخيه الذي يكبره بثلاث سنوات، بالقيام بالمهمة، فصار يقرأ مع أخيه ويوضِّح له بعض العبارات، لكن الصغير كان أحياناً يجادل أخاه، ويرفض تفسيره، وقد يتطور الأمر إلى شيء من العراك بينهما، وهكذا فالصغير لا يستطيع في كثير من الأحيان أن يكون معلماً جيداً لمن هو أصغر منه .

٥ـ من الطبيعي عدم انتظام الطفل في القراءة :

نحن نعرف أن أرواح الأطفال هشة للغاية، كما أن صبرهم على

الاستمرار في الأعمال محدود، وهذا يجعل الاضطراب والانقطاع في إقبالهم على القراءة، هو الشيء الطبيعي. نحن الكبار نصاب بمثل هذا، فكم من أيام تمر على الذين يُعرفون بشغفهم بالقراءة دون أن يفتح الواحد منهم أي كتاب. وأعتقد أن هذه الملاحظة في غاية الأهمية حيث إن كثيراً من الآباء والأمهات يسمعون بعض النصائح بضرورة تعويد أطفالهم القراءة، فيندفعون إلى شراء الكتب والمجلات، ويقبل الأطفال على قراءتها مدة، ثم يُعرضون عنها، فيتوقف الأهل عن متابعتهم وشراء كتب جديدة لهم، وحجتهم في ذلك أن الولد لا يحب القراءة مع أن لديه عدداً من الكتب الجيدة، وهذا فلا فائدة من حثه ومتابعته. وهذا الظن غير صحيح، لأن التحفيز على القراءة وشراء الكتب الجديدة يجب أن يستمرا. عامل الطفل دائماً على أنه شغوف بالقراءة ومحب للكتاب، بقطع النظر عن الواقع، وسوف يكون كذلك.

٦ـ اقرأ للطفل وأنت مرتاح :

حين يطلب الطفل منك أن تقرأ له في قصة أو كتاب، فتأكد أنك تستجيب لطلبه وأنت تشعر بالراحة والسرور لأداء ذلك العمل، وإذا وجدت نفسك غير مستعد، فاعتذر له، وحدد له موعداً بعد خمس أو ست ساعات، ومن المهم عدم نسيان ذلك الموعد، ومن الممكن توكيل الزوجة أو أحد الأولاد الكبار بالقيام بذلك، وإنما أقول هذا الكلام لأن القراءة للطفل ونحن نشعر بالملل أو التعب تجعلها قليلة الجدوى وغير ممتعة، وربما أرسلنا رسالة للطفل، فحواها أن يعتمد على نفسه في ذلك، أو أن نشاط القراءة برمته غير مهم .

٧ـ الصغار لا يحبون الوعظ :

إذا أردنا أن نكون دقيقين في التعبير، فينبغي أن نقول : لا أحد يحب

الوعظ، لا الصغار ولا الكبار، وذلك لأن الوعظ يرسل إشارات سلبية، فالذي يتلقى الوعظ يشعر بشعورين غير مريحين : الأول : أنه مقصر في بعض الأمور، ومن ثم اتجه الوعظ إليه، والثاني: تفوق الواعظ وبراءته من التقصير أو الخطأ الذي يحذّر منه، ومن هنا كان من المهم جداً أن نوصل ما نريد إيصاله للطفل بطريق غير مباشرة، وبالكثير من اللطف والتواضع . يقول أحد الشباب : حين كنت في السابعة كنت شديد الوله بسماع بعض الحكايات الجميلة من والدتي، وحين انشغلت والدتي بأخي (المولود الجديد) صار أبي هو الذي يقرأ لي، والحقيقة أن شرحه كان رائعاً وممتعاً جداً، لكن كان يُجري لي ما يشبه الاختبار في كل قصة يسردها عليَّ أو يقرؤها لي، وكان لا يمل من القول: والآن : كيف تلخص لي القصة التي قرأناها... والحقيقة أنني كنت مشغول الذهن بالذهاب إلى بيت خالتي، حيث إن ابنها اشترى لعبة إلكترونية جديدة، ولذا فإني لم أكن حاضر الذهن أثناء قراءة أبي، و إني أعترف أني لخصت القصة تلخيصاً سيئاً، فما كان من والدي إلا أن أنّبني، وقال : في المرة القادمة عليك أن تنتبه جيداً ونحن نقرأ، وإلا فإني لن أقرأ لك في المستقبل . وبعد سنة أو سنتين قال لي والدي : اقرأ هذه القصة، وبعد الانتهاء من قراءتها تعال إليَّ، وجئت إليه بعد المغرب، فما كان منه إلا أن قال لي : ما الدروس المستفادة من القصة التي قرأتها ؟ وهنا شعرت بشيء من الصدمة، فالقصة لم تكن شيقة بالقدر الكافي، وشعرت أنها فوق مستواي، ولهذا فلم أستطيع استيعابها، ولا معرفة الدروس والعبر المستفادة منها !. وهنا نهرني أبي، وقال : أنت ولد لعَّاب، وأخوك أحمد مع صغر سنه أكثر حرصاً على التعلم منك ... يقول الشاب : ومن ذلك اليوم بدأت علاقتي

بالكتاب تتراجع لأنني كلما أمسكت كتاباً تذكرت توبيخ أبي، وكنت أقول في نفسي: يكفي أنني مجتهد في مدرستي، وإن الذي سيمتحنني في كتب المدرسة هم أساتذتي وليس أبي، وأسئلتهم أسهل، وهم لا يؤنِّبون ! .

سيظل المرح، والترغيب ويظل الإيحاء من الأمور المحبوبة والمؤثرة، ومن هنا نجد أن معظم الأطفال ينجذبون إلى القصص المترجمة ذات الرسوم الملونة، والتي لا تكتظ بالنصائح والمواعظ .

٨ـ التلفاز خصم الكتاب :

لا ينجذب الكبار والصغار للأشياء بصورة دائمة لأنها الأفضل، فسمات الأمور الخيرة والجيدة لا تكون متألقة وحاضرة على الدوام. إن من الواضح أن الناس بشكل عام يهتمون بالأشياء ويتهافتون عليها بسبب الشعور القوي بالحاجة إليها أو بسبب المتعة الجارفة التي يشعرون بها عند تناولها أو استخدامها . الطفل يشعر بالحاجة إلى الكلام من أجل التعبير عن حاجاته، ومن أجل التواصل، وهو يحب الجلوس أمام التلفاز ليس لأنه الخيار الأفضل، ولكن لأنه يُفتن برؤية الصور المتحركة والرسوم والألوان، أما القراءة، فليست من هذه ولا تلك، فهي تحتاج إلى إرادة وجهد وتركيز ومتابعة ومحاولة للفهم . لاشك أن القصص والروايات العظيمة تجعل من يقرؤها يشعر بالمتعة وينجذب إليها على نحو مدهش، لكن هذا يكون في الغالب بالنسبة إلى المراهقين والكبار، أما ابن التاسعة أو العاشرة، فتظل الألعاب المختلفة، ويظل التلفاز ببرامجه المتقَنة أشد جاذبية وأعظم سيطرة .

الآباء والأمهات النجباء أدركوا ما ذكرناه بشكل واضح، ووجدوا

أن الحلَّ يكمن في تحديد وقت مشاهدة الأطفال للبرامج، وممارسة الألعاب، وقد يكون من المناسب إتاحة ساعة للمشاهدة وساعة للعب يومياً لمن تجاوز السابعة . وأكثر من ذلك قليلاً لمن هم دونها. إن هذا التحديد سيجعل الطفل يفر من الفراغ الذي يواجهه إلى القراءة والكتابة والرسم والأشغال الفنية، وهذا شيء مجرَّب . بعض الآباء والأمهات يقررون في بعض الأحيان إغلاق التلفاز بشكل كامل يومين في الأسبوع من أجل كسر حدة تعلق الأطفال به، وقد وجدوا نتائج إيجابية جداً لذلك. بالطبع الأطفال سوف يُظهرون الكثير من الضيق والتذمر من أي قيود على حريتهم، لكن مع الأيام يتعودون ذلك. المهم دائماً أن نتمسك بمواقفنا، وأن نملك روح المتابعة لقراراتنا. الأهم من كل ما ذكرناه في هذا الصدد هو عدم وضع أجهزة تلفاز في غرف الأطفال، لأن لذلك سلبيتين : إدمان الأطفال على مشاهدتها، وصعوبة التحكم بأوقات المشاهدة ومددها.

٩ ـ فرط النشاط والقراءة:

يشكو كثير من الآباء والأمهات من أن لديهم أطفالاً لا يستطيع الواحد منهم الجلوس في مكان واحد أكثر من دقيقة، كما أنه لا يستطيع التركيز على أي شيء، وحصر ذهنه فيه أكثر من دقيقتين أو ثلاث دقائق، فكيف يمكن لمن هذه حاله أن يتعود الجلوس على كرسيّ ربع أو نصف ساعة لقراءة كتيب أو قصة ؟ !

الحقيقة أن ما يسمى بشدة النشاط أو (فرط الحركة) بالإضافة إلى (نقص الانتباه) من الحالات الشائعة في العديد من البيوت، ويشير بعض الدراسات إلى أن نسبة الذين يعانون من فرط الحركة وحده قد تصل في بعض المجتمعات إلى نحو من (١٥٪) أما الذين يعانون

من المشكلتين معاً فإن نسبتهم هي في حدود (٥٪) . ولا يستطيع أن يقول أحد: إن الطفل المصاب بضعف الانتباه أو فرط الحركة يتعود القراءة بطريقة أفضل أو أسرع من الطفل السليم، لكن تظل هناك إمكانية لفعل شيء وإدخال بعض التحسينات على هذه الحالة .

لابد في البداية من القول : إن كثيراً من الأطفال يكونون نشيطين جداً، لكن نشاطهم لا يرتقي إلى أن يكون مشكلة تحتاج إلى علاج، وهذا النشاط يعود إلى المستوى الطبيعي حين يصبحون في السابعة أو الثامنة، وفي كلتا الحالتين، فإن المطلوب هو معاملة الطفل بصبر واهتمام، تقول إحدى الأمهات: كان لديَّ طفلة يظن الناظر إليها أنها تتابع كل شيء، وتحاول فهم الأحداث المحيطة، لكن الحقيقة أنها لم تكن تستوعب أي شيء، وكان من الصعب عليها أن تنتظم في أي عمل، وقد جعلتُ تغيير وضعيتها وجعل القراءة عادة أثيرة لديها أحدَ التحديات التي قررت مواجهتها بصبر ودأب، وقد قرأت بتوسع حول الموضوع أولاً، ثم شرعت في العمل، وقلت في نفسي.. ما الذي ترتاح ابنتي إلى قراءته أكثر من غيره، وبعد تجريب وتمعن وجدت أن القصص والكتيبات الفكاهية والمضحكة هي ما يثير انتباهها، ويجعلها تقرأ لمدة ست أو سبع دقائق، فصرت أشتري لها منها كل أسبوعين مادة أو مادتين، ولاحظت إقبالها على القراءة، ثم جعلت أطلب منها أن تحدثنا ونحن على المائدة عن بعض الطُّرف التي قرأَتها، وكنا نضحك معها من قلوبنا، ولطالما قلت لها : أنت أحسن شخص في الأسرة لأنك تدخلين السرور علينا جميعاً، وهذا زاد في حماستها للقراءة، وبعد مدة صرت آتيها ببعض القصص الخالية من الفكاهة، وصارت تنظر فيها وتلخصها لنا من أجل نيل

إعجابنا، ومع الأيام صرت أشتري أنا وهي الكتب التي يصل حجم الواحد منها إلى مئة وخمسين صفحة، وصارت تقرؤها بنَهَم، وهي اليوم تدرس في كلية علمية في الجامعة، ولديها خلفية شرعية وأدبية رائعة ! العجيب أن نشاطها في الحركة والتنقل من مكان إلى مكان قد انقلب إلى نشاط في التهام الكتب والمشاركة في الأنشطة الثقافية المختلفة، وهي الآن تُعِدُّ لرسالة صغيرة حول التفكك الأسري !.

نعم بالرفق والاهتمام والتدرج والصبر يتم إنجاز الكثير من الأشياء الجميلة.

١٠ـ الصدق مع الأطفال :

كل الآباء يحبون لأبنائهم أن يكونوا متفوقين عليهم وناجحين في الحياة أكثر منهم، وهذا يدفع بالآباء والأمهات إلى تحفيز الأولاد بكل الوسائل الممكنة، ولعل من أكثر الوسائل استخداماً في ذلك الحديث عما كان عليه الأب أو الأم من تميز وشجاعة وحب للقراءة وتفوق في المدرسة، وبعضهم يتجاوز الحقيقة في ذلك دون أي شعور بالحرج، فالغاية عند بعضهم تبرر الوسيلة، وبعض الآباء يصوِّر لأبنائه أنه كان يعشق الكتاب منذ أن كان في الثامنة، وبعضهم يقول : إنه يستغرب جداً إذا رأى صغيراً أو كبيراً لا يحب القراءة، ولا يبحث عن الكتاب الجيد، لأنه لا معنى للحياة من غير القراءة والمعرفة ! يظل الصدق مطلوباً ولو كانت الحقيقة مُرة، والأطفال يكتشفون مع الأيام أن آباءهم وأمهاتهم لم يكونوا يقولون لهم الحقيقة حول الكثير من الأمور، وهذا يؤدي إلى أزمة كبيرة داخل الأسرة، ويهز الثقة والمصداقية هزاً عنيفاً، ومن وجهٍ آخر فإن الواقع يشهد أن السواد الأعظم من الآباء لا يحبون القراءة، ولم يبذلوا الجهد المطلوب من

أجل تحبيبها إلى أبنائهم، ولا شك أن لكل قاعدة استثناءاتها، لكن هذه هي الحقيقة السافرة، وإذا وجِد أب يؤثِر الكتاب على النوم والأصحاب والتلفاز، فإنه لا يمثل حالة عامة، وإنما حالة قليلة ومحدودة . أحد الآباء كان يعرف هذا الموضوع بشكل جيد، ولهذا فإنه كان يقول لأبنائه : حين كنت صغيراً لم أكن أعرف قيمة الكتاب، كما أنني لم أكن أشعر بالشوق إليه، ولم أكن متفوقاً خلال الدراسة في المرحلة الابتدائية، لكن حين دخلت الجامعة تغير كل شيء، فقد أدخلني جدكم جامعة مرموقة، وأنفق عليَّ الكثير من المال، وفي الجامعة أدمنت القراءة، وبدأت أتذوق طعم التفوق على الأقران،

١١ـ نوعية ما يقرؤه الأطفال :

ما يقرؤه الطفل، وما نقرؤه له، وما نسرده عليه من قصص وحكايات ينبغي أن يظل متسماً بسمات قليلة ثابتة، ولعل أهمها سمتان : الفائدة والمتعة، الفائدة مهمة جداً لأن الطفل في حالة تكوُّن وتشكُّل على المستوى الروحي والعقلي والبدني والاجتماعي، ونحن نفترض أن نتعرف مضمون المعارف التي سنغذي بها عقول صغارنا وأرواحهم. المتعة أيضاً مهمة، لأن الطفل إذا لم يستمتع بما يقرأ ويسمع، فلن يستمر في القراءة والإصغاء ـ ولاسيما في الطفولة المبكرة والمتوسطة ـ وبالتالي فإنه لن يتعود القراءة، ومجالسة الكتب . المتعة أيضاً مطلوبة لإبهاج الروح والإحساس بجمال الحياة، ولهذا فإن علينا أن ندقق في نوعية الكتب والقصص التي نختارها للصغار، أو نساعدهم في اختيارها، ولعل منها الآتي :

أ ـ الكتب والقصص ذات الأسلوب السهل السائغ التي لا يجد الطفل عناء في استيعابها، وهذا يعني أن نختارها بناء على ما كُتب على أغلفتها لأن كثيراً من المؤلفين والناشرين يحددون على أغلفة

الكتب، أعمار الأطفال الذين يستطيعون الاستفادة منها .

ب ـ الكتب والقصص التي تشتمل على عوامل الإثارة والتشويق فالكتابة للصغار تحتاج إلى مواهب كبيرة، وليسوا كثيرين، أولئك الذين يجعلون الطفل ينسى الطعام والشراب واللعب حين ينخرط في قراءة إنتاجهم، وعلى كل حال فإن ما يدل على عظمة القصة وقدرتها على إثارة الأطفال عدد النسخ التي طبعت منها وعدد اللغات التي تُرجمت إليها، فالطفل هو الطفل، وما يجذب الطفل في الصين يجذبه في جنوب أفريقيا وفي باريس...

ج ـ من المهم الابتعاد عن القصص التي تثير خوف الطفل وهلعه مثل القصص التي تتحدث عن الجن والعفاريت وعن السحرة وعتاة المجرمين وتلك التي تتحدث عن فقد الأم والأب أو إصابتهما بعاهات خطيرة ... إن الطفل قد لا يستطيع التفريق بين الواقع والخيال والتمثيل، ومن ثم فإنه يخشى أن يصاب بمثل ما أصيب به أشخاص القصة .

د ـ كثيراً ما يكون كاتب الكتاب أو القصة غير مسلم، وهذا موجود بكثرة في المترجَمات ـ أو تكون ثقافته الإسلامية ضعيفة، ومن ثم فإنه يستخدم عبارات تخدش جناب التوحيد، وتخالف صريح العقيدة .... ولهذا فإن المهم الانتباه إلى ذلك وتنبيه الغافلين من الآباء والأمهات إليه، وتشكِّل (الإنترنت) وسيلة ممتازة لنشر ذلك .

هـ ـ ما يقرؤه الأطفال في سن مبكرة يؤثِّر تأثيراً بالغاً في شخصياتهم وتكوين اتجاهاتهم، ولهذا فإن من المهم أن نختار لهم القصص التي تغرس في نفوسهم المعاني الإيمانية وحب الله ـ تعالى ـ وحب رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالإيمان وتقديس الله ـ تعالى ـ من الأسس العميقة للشخصية الإسلامية، ولا ننسى الكتيبات والقصص التي

توضح أهمية أركان الإسلام وبعض السنن والآداب الإسلامية، بالإضافة إلى الكتيبات التي تتحدث عن المبادئ والقيم الإسلامية الكبرى مثل الصدق والأمانة والوفاء والإحسان والتسامح والصبر والمثابرة والإتقان والشجاعة الأدبية. وسيكون من المهم كذلك قراءة القصص التي تتحدث عن سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرة أصحابه الميامين ـ رضي الله عنهم ـ وكذلك القصص والكتيبات التي تتحدث عن التاريخ الإسلامي وما فيه من أمجاد وانتصارات وعبر وعظات، فالأمم الحية على مدار التاريخ تتخذ من سِير عظمائها ومن الأحداث التي مرت بها أدوات في تربية أبنائها .

ومن وجه آخر فنحن نعرف أن سن الطفولة هو سن التساؤل والحيرة، ولهذا فإن من المهم أن نوفر للطفل الكتيبات والقصص التي تجيب عن أسئلة الطفل حول الخَلْق والطبيعة والحياة والناس، والتي تشرح، وتعلل بعض الأخلاق والعادات والتقاليد التي يطرح الطفل تساؤلات حولها، فالحياة بالنسبة إلى الطفل حين يولد أشبه بقاعة مظلمة، فهو يتحسسها ويتحسس ما فيها، ويحاول اكتشاف كل ذلك بالتدريج، ومن المهم أن نعينه على ذلك . شيء آخر أود الإشارة إليه في هذا السياق هو أن هناك جهوداً كبيرة بذلها بعض العلماء في تخصصات شتى من أجل تبسيط العلوم المختلفة، وتمكين الأطفال من استيعاب الكثير من مبادئها، ومن المهم الاستفادة من تلك الجهود في تزويد الصغار بأساسيات علوم وفنون مثل الفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والتجارة والزراعة ... إن الاطلاع المبكر على هذه العلوم بالإضافة إلى فائدته العلمية، فإنه قد يجعل الطفل يتعلق بواحد منها مما يجعل ميوله إلى التخصص فيه تنمو بسرعة .

بيئة حافزة على القراءة

نستطيع أن نقول : إن أكثر شيئين يؤثران في حياتنا هما الوراثة والبيئة، الوراثة تحدد الكثير من ملامح شخصياتنا على مستوى الجسم والشكل والقدرات الذهنية وأشياء أخرى كثيرة . أما البيئة فإنها مصدر كبير ومؤثر جداً في صنع الرغبات وتحديد الاتجاهات وامتلاك المهارات ... إننا نتعلم من البيئة معايير الخير والشر والصواب والخطأ، ومنها نتعلم ترتيب الأولويات في حياتنا الشخصية .. ولست أبالغ إذا قلت : إن ما يزيد على (٦٠٪) من نجاحات الناس وإخفاقاتهم يعود إلى البيئة التي يعيشون فيها، ومن هنا فإن الأسر المهتمة بأولادها والواعية بأهمية الوسط الذي يحيا فيه الإنسان ظلت على امتداد التاريخ الإسلامي تبحث عن المكان الملائم لتعليم أطفالها وتنشئتهم، وكثيراً ما تكون العواصم والمدن الكبرى هي ذلك المكان بسبب توافر المدارس والمعاهد العلمية وتوافر الشيوخ والأساتذة الكبار، وقد كانت الهجرة ـ ومازالت ـ مكلفة جداً على كل الأصعدة، لكن الحرص على تعليم الأولاد وإعدادهم للحياة كان يدفع إلى تحمُّل كل الأعباء والتكاليف المترتبة على ذلك .

إذا جئنا إلى الحديث عن البيئة المؤثرة في حب الأطفال للقراءة، فإننا

سنجد في الحقيقة بيئات، وليس بيئة واحدة، فهناك البيئة الأسرية، وهناك البيئة المدرسية، وهناك البيئة العامة، ولعلي أخصُّ كلاً من البيئة الأسرية المنزلية و البيئة المدرسية بشرح مقتضب عبر الحروف الصغيرة الآتية :

ـ البيئة المنزلية :

مادامت الخطوط العميقة في شخصية الطفل تتشكل عبر السنوات الست الأولى من عمره، وما دام الطفل في هذه المرحلة يتأثر أكثر بمن يكون أقرب إليه وأكثر احتكاكاً به، فإننا نستطيع أن نقرر أن الأسرة هي التي تبذر في نفس الطفل وفي عقله الميل إلى القراءة والشغف بمصاحبة الكتاب، وهي نفسها التي قد تتيح له التعود على اللهو واللعب والانشغال بالأمور التافهة، **فما مقومات البيئة المنزلية التي تحفز الطفل على القراءة يا ترى؟**

لدينا كلام طويل في هذا، لكن يمكن أن نوجزه في الآتي :

١ـ لماذا لا نقرأ ؟

لدينا سؤال كبير يتردد على كثير من الشفاه : لماذا لا يقرأ الطفل العربي ولا يحتفل بالكتاب كما يفعل الطفل الأمريكي أو الأوربي أو الياباني مع أن أول كلمة في أول آية في أول سورة نزلت على نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي كلمة (اقرأ) ؟

الجواب يكمن في أن الأمة شهدت مدة من الانقطاع الحضاري استمرت ثمانية قرون على الأقل، في هذه المدة نسينا ما أسسه الإسلام لدى الأجيال الأولى من حب للمعرفة وتقدير للعلم وأهله، ولا ينفعنا القول : إننا أمة (اقرأ) فلم لا نقرأ ؟ ! وذلك لأن الأطفال يقرؤون في البلاد المتقدمة ليس لأنهم يعرفون فضل العلم ودوره في الحياة،

ولكن لأن الكبار يقرؤون، وحين يقرأ الكبار والصغار، فهذا يعني أن ممارسة القراءة صارت جزءاً من ثقافة المجتمع، وهذا هو الذي نبحث عنه: تحول المعرفة إلى عادة يومية، يمارسها الناس كما يمارسون الطعام والشراب والرياضة والذهاب إلى أعمالهم ... معظم الناس لدينا لا يعرفون أن عليهم أن ينفقوا على تعليم أولادهم وتثقيفهم بمستوى إنفاقهم على إطعامهم وإكسائهم وترفيههم بالألعاب المختلفة . أسر كثيرة تعتقد أن تثقيف الأولاد هو من مسؤولية المدارس، وبعضها أسلم صغاره لقنوات الأطفال الغث منها والسمين، وبعضها وضع أكواماً من الألعاب بين يدي الصغار من أجل إشغالهم عنهم !. حدثني أحد الشباب الذين درسوا في الولايات المتحدة الأمريكية، قال : حين كان يزورني بعض الأصدقاء العرب كنت أحرص على أن أذهب بهم إلى مكتبة قريبة من بيتي، وأقول لهم : سأريكم شيئاً لا ترونه في بلادنا، وكانوا يُبدون دهشتهم حين يرون الناس وقد انتظموا في صف طويل كي يدفعوا أثمان الكتب التي اشتروها، إن مساحة الطابق الأرضي لم تكن كافية لاصطفاف الناس، فكانوا يصطفون على سلم الدور الثاني، ومن الممكن أن يظل الشخص واقفاً نحواً من عشرين دقيقة حتى يتمكن من دفع ثمن ما يحمله من كتب ومجلات ومواد تعليمية أخرى ! الناس لدينا يقفون في صف طويل من أجل دفع ثمن ما يأكلون ويشربون ويلبسون ولا ينفقون على تثقيف عقولهم وعقول أبنائهم شيئاً يذكر، وحين تقول للناس خصصوا من مصروفكم الشهري (٥٪) لشراء الكتب يستكثرون ذلك لأن معظمهم لا ينفق أي شيء !.. هذه هي إذن المشكلة : إنفاق شبه معدوم على التثقيف يؤدي إلى أن تظل القراءة بعيدة عن اهتماماتنا

وسلوكياتنا وعاداتنا كباراً وصغاراً !

٢ـ أسرة قارئة :

في تعاليم ديننا وفي أدبياتنا وبعض ما تعودنا ما يرسخ مفهوم التعليم ووجود من يلقِّن المعرفة، حيث يُشرَع لنا أن نؤذِّن في الأذن اليمنى للطفل عند ولادته، وأن نقيم الصلاة في اليسرى، وحين تحضر الوفاة وتحين ساعة الوداع الأخير يجد المحتضر من يلقنه الشهادتين وبعض الأدعية، وهكذا تبدأ الحياة بالمعاني الإيمانية المؤثرة، وتنتهي بها كذلك، وينبغي أن ينشط المرء في التعليم والتعلم والقراءة في كل المدة الفاصلة بين البداية والنهاية . ولعلي أشير إلى ملامح الأسرة القارئة عبر المفردات الآتية :

أ ـ الأسرة القارئة تمارس نشط القراءة على نحو يومي، فالطفل حيثما التفت يرى أباً ممسكاً بكتاب أو أخاً يرسم شيئاً، أو أماً تشرح لأحد إخوته شيئاً غامضاً، وقد لاحظ الخبراء أن تكوين عادة القراءة لدى الصغار وإدخالهم إلى عالم الكتاب الممتع يتطلب فعلاً العيش في أسرة منهمكة في المطالعة والتثقف، بل تحمل هموماً ثقافية، وهذا لما دلت عليه تجارب ودراسات عديدة من أن دور المنزل في جذب الطفل إلى القراءة أهم بكثير من دور المدرسة، حيث إن عناية المدارس تتجه في الأساس إلى تثقيف الطفل ثقافة عامة أكثر من أي شيء آخر ودلَّ عدد من الدراسات على أن اتصال الطفل بالكتب والمواد المطبوعة في البيت قبل التحاقه بالمدرسة له تأثير كبير في نموه المعرفي بعد التحاقه بها . في المقابل فإن حرمان الطفل من أسرة تحفزه على القراءة يعد من أكبر العوامل في إعراضه عنها، وفي استطلاع أجرته الرابطة الأمريكية لمجالس الآباء تبين أن (٨٢٪) من الأطفال الذين لا يحبون القراءة لم

يحظوا بتشجع آبائهم وأمهاتهم .

ب ـ الإنسان لا يعد قارئاً بحق إلا إذا نظر إلى القراءة على أنها النشاط الطبيعي الذي يسعى المرء إلى ممارسته ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وهو أيضاً النشاط المفضّل خلال الأسفار وفي الحدائق وأماكن التنزه و المطاعم ....

إن الكتاب هو الصديق العزيز الذي يسعى القارئ النَّهِم إلى مجالسته في أي وقت وأي مكان، يقول أحد الشباب : لم يكن لأبي سوى أخت واحدة، وكان يحبها حباً جماً، وكان في نظرها بمثابة أبيها حيث إن جدي توفي وهي صغيرة، وقد تزوجت في بلدة تبعد عنا نحواً من ثلاثمائة كيلو، وقد كان لدى أبي سيارة فارهة، وكنت أحب ركوبها معه، لكنه كان يصر على السفر بالقطار رغم إلحاحي الشديد على السفر بسيارته، ولم أكن أعرف أسباب ذلك، وكان أبي يحاول أن يزور أخته مرة في الشهر، وكان يعد لذلك إعداداً خاصاً، وكان يهتم بشيئين اثنين : الطعام والكتب، وكان يحرص على أن يأخذ معه الطعام الذي أحبه، وفي الطريق يناولني بعض القصص والكتيبات الخفيفة، وكنت وقتها في العاشرة من عمري، وقد زجني في منافسة معه على قراءة أكبر عدد ممكن من الصفحات، بالإضافة إلى ضرورة الفهم والاستيعاب لما نقرؤه، وكان يسألني وأسأله، ويشرح لي ما أعجبه مما قرأ، وأشرح له ما أعجبني مما قرأت، وبعد ثلاث سنوات وجدت أن القراءة صارت ضرورية لسعادتي وهنائي وصار أساتذتي ينظرون إليّ على أنني أفضل طالب في الفصل، بل صاروا يقدمونني لضيوف المدرسة على أنني نموذج متفوق لنجاح المدرسة في تعليم منسوبيها، وفي العام الماضي قال لي أبي: أتعرف لماذا كنت أصر على

أن نسافر إلى عمتك بالقطار ؟ قلت : لا . قال : حتى نجد وقتاً للقراءة، وحتى تتذوق حلاوة المطالعة، فهل وجدت ذلك ؟ قلت له : جزاك الله عني خير الجزاء، فقد صار للحياة عندي معنى آخر وطعم مختلف! إن هذا الأب الحكيم لم يحدِّث طفله في يوم من الأيام عن فضائل القراءة وخطورة الابتعاد عنها لكنه جعله يستشعر ذلك من خلال اهتمامه بها ومن خلال ممارسته الجميلة لها، وهذا ما ينبغي أن يفعله كل أب .

ج ـ القراءة للطفل ليست سرداً لبعض المعلومات والأحداث، إنها وسيلة لإظهار عطف الأم وحنانها نحو صغيرها، إن ابن الثالثة يشعر بالدفء والأمان حين تضعه والدته في حجرها، وتبدأ بالقراءة له، والحقيقة أن الصلة العاطفية بين المربي وبين من يربيهم هي المادة الكيميائية التي تجعل الطفل يتقبل ما يقال له، ويُطلَب منه بشغف وسرور، وإن اهتمام أمه بتعليمه وإنضاجه يغدو مصدر فخار واعتزاز له، وما أجمل ما قاله الشاعر الإنجليزي في قصيدته (الأم القارئة) :

قد تكون لديك ثروة حقيقية مخفاة .

علب جواهر وصناديق ذهب .

لكنك لن تكون أبداً أغنى مني .

لأن لي أماً تعلمني، وتقرأ لي .

د ـ المكتبة المنزلية مهمة جداً لتحبيب القراءة إلى الطفل، إذ إن من الواضح أن الطفل إذا كان يعيش في محيط تكثر فيه الكتب، وأهله من حوله يقرؤون فإنه تتولد لديه الرغبة في القراءة في معظم الأحيان . ينبغي أن يكون في مكتبة المنزل ما يُغذِّي عقول الكبار، وما يُغذِّي عقول الصغار، كتب الكبار ينبغي أن تشتمل على ثلاثة كتب في كل

علم : مختصر ومتوسط ومطوَّل أو كبير، وهكذا فينبغي أن يكون فيها كتب في التفسير والحديث والفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ واللغة والرقائق والفلسفة بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب الفكرية والثقافية المتنوعة، إنها أشبه بروضة فيها من كل الثمار والأزهار مما يناسب أذواق الجميع وحاجاتهم. أما كتب الأطفال، فتشترى بالتدريج، ويشارك كل طفل في اختيار الكتب والقصص والروايات التي يحبها، وهذه نقطة في غاية الأهمية، حيث قد لا ينجذب ابن الثامنة إلى قراءة قصة قرأها أخوه قبل عشر سنوات، فالأطفال كثيراً ما يسمعون عن بعض القصص والكتب الجديدة من زملائهم، وأصدقائهم، ولهذا فإنهم يتلهفون إلى اقتنائها والاطلاع عليها. ومن وجه آخر فإن حاجة الأطفال لا تقتصر على الكتب والقصص والحكايات، وإنما يحتاجون إلى أن يكون في مكتبتهم الكثير من الأقلام والألوان والأوراق المختلفة كي يجدوا المتعة في ممارسة الرسم وصنع بعض الأشكال الفنية، فهذا يوثِّق صلتهم بعالم الثقافة والمعرفة والإبداع .

بعض الآباء حوّلوا غرفة المكتبة إلى متحف لا ينبغي للصغار دخوله خوفاً على الكتب من التمزيق أو المس بأي أذى، فصار وجود المكتبة في المنزل من غير معنى، أو صار وجودها من أجل التزيين الشكلي (الديكور) وهذا خطأ فادح، فالكتاب لا يؤدي دوره إلا إذا فُتح ونهلنا من معينه النمير، **تقول إحدى الشابات : حين كنت صغيرة لم يكن في إمكاني تناول أي كتاب من مكتبة أبي الزاخرة بمئات الكتب بسبب الحظر الذي فُرض علينا، وقد كنت أرفض الانصياع، وأحاول التسلل إليها في الخفاء لكن مع الأسف لم أجد فيها ما يناسبني، فقد**

كانت من الكتب التراثية القديمة، وكانت أوراقها صفراء وسطورها وكلماتها مزدحمة ...، لكن كان لدى عمي مكتبة جميلة وحديثة، جمعها مما يُهدى إليه ومن الكتب التي استعارها، فلا قرأها، ولا أعادها إلى أصحابها، وقد استفدت منها الكثير، لكن وقعت يدي وأنا أبحث فيها على كتاب يتحدث عن تلبس الجن بالأنس، فزرع الرعب والخوف في قلبي الصغير .

لا ينبغي أن تكون مكتبة المنزل محصورة في غرفة أو ركن من أركان المنزل، بل ينبغي أن تكون الكتب في كل مكان، لأن المقصود هو أن نولِّد في نفس الطفل حب القراءة، وهذا لا يكون إلا من خلال احتكاك الطفل بالكتب ورؤيته إياها في كل ناحية من نواحي المنزل، ويبدو لي أنه لا مفر من هذا لأن الأسرة إذا خصصت (٥٪) من مصروفها الشهري لشراء الكتب والقصص والمجلات الهادفة، فإن كميات كبيرة منها سوف تتراكم، فالكتب لا تُستهلك كما تُستهلك الأطعمة، ولهذا فإنك إذا دخلت إلى منزل أحد الأمريكيين ـ مثلاً ـ فإنك ستجد الكتب على الأرفف و فوق الكرسي و(الكنب) وتحتها، وتحت الأسرَّة وفي المطبخ وفي كل مكان .. وهذا هو المطلوب ؛ ومع هذا فينبغي أن يكوِّن كل طفل مكتبته الشخصية، ولو كانت عبارة عن رف أو رفين أنيقين في حجرته الخاصة أو في ركن من أركان المنزل، أو تكون تلك المكتبة جزءاً من مكتبة الأسرة، المهم أن ينشأ ارتباط شعوري بين الطفل وبين بعض الكتب لأنها ملكه ومن اختياره.

هـ لا يكفي وجود الكتب في المنزل لجذب الصغار إلى القراءة والمطالعة، فالملهيات والصوارف كثيرة، ولا بد إلى جانب ذلك من

ترتيب بعض المحفِّزات الأخرى، وقد قامت بعض الأسر بشيء جميل، هو تخصيص مكان للقراءة في المنزل، ذلك المكان مضاء بشكل جيد، وفيه بعض رفوف الكتب المزينة بعناية إلى جانب كرسي مريح جداً، وله وسادة للقدمين، ووضِع إلى جانب (مصباح المكتب) جدول ليقوم كل من الأب والأم والأبناء بتحديد مواعيد حجز الكرسي للقراءة، وتم وضع جائزة توزع آخر كل شهر لمن يجلس على كرسي القراءة أكثر، وكان الهدف من كل ذلك توفير مكان ومعطيات تجعل القراءة ممتعة وجذابة، وقد آتت هذه الطريقة ثمارها لدى العديد من الأسر. الشيء الذي أود التأكيد عليه مرة أخرى هو : أن نحاول أن لا يدخل (الكتاب) في منافسة مع التلفاز والإنترنت وألعاب الفيديو لأن النتيجة ستكون معروفة، وهي إجهاض كل الجهود المبذولة في تكوين عادة القراءة، وهذا هو بالضبط ما تعاني منه كل الأسر التي لم تضع أي ضابط لاستخدام هذه الأجهزة على ما دل عليه عدد من الدراسات والمشاهدات .

٣ـ الجو الممتع :

الجو الأسري الجيد والمحرِّض على القراءة لا بد أن يكون ممتعاً ومريحاً، ونحن حين نتحدث عن الأجواء الممتعة كثيراً ما يتبادر إلى أذهاننا جمال المناظر ونقاء الهواء واعتدال المناخ، وهذه الأشياء مهمة -ولا شك- في صنع مزاج حسن، لكن الذي أقصده هنا هو شعور الطفل بأنه يعيش في أسرة سعيدة ومرحة ومتعاطفة، وتحقيق هذه المعاني في حياتنا يحتاج إلى القليل من المال والكثير من الفهم والتضحية والاهتمام . إن البيوت الخالية من البهجة والهدوء والمرح لا تلهم الأبناء بالاتجاه إلى الكتاب والمثابرة على القراءة . إن البهجة

تجعل التعلم أشد عمقاً وقوة، وهي تزوِّد الأطفال بالوقود الروحي المطلوب للإقبال على القراءة على نحو مستمر. **إحدى الفتيات كانت تقول لوالدتها : أمي نحن أثرياء، وكل شيء متوفر لدينا، كما أن في بيتنا مكتبة عامرة، فيها كتب من كل العلوم والفنون، ومع هذا فإننا جميعاً لا نستفيد منها، ولا نجد من يدخل إليها، ولو تأملتِ في حال جيراننا بني فلان، فستجدين أنهم فقراء، ومع هذا فأبناؤهم وبناتهم يسهمون بشكل فعال في كل الأنشطة الثقافية في الحي على نحو يثير الإعجاب، كما أنهم متفوقون في مدارسهم، لماذا يحدث هذا لنا ولهم ؟**

هنا نفرت دمعة من عين الأم، وصمتت صمتاً طويلاً، وبعد إلحاح ابنتها عليها قالت الأم: يا بنية إن علاقتي مع أبيك سيئة بسبب رغبته في الاستيلاء على المال الذي ورثته من أبي، وهذا جعل بيتنا ينقسم إلى ما يشبه الحزبين المتصارعين : بعض إخوتك وأخواتك يقفون معي، وبعضهم مع أبيك، ولهذا فإن التهديد والمشاكسة التي وصلت إلى حد التلفظ ببعض الكلمات القبيحة ... قد حرمنا من المرح والسرور الذي يجده جيراننا، وحرمنا بالتالي من أن نتعاون على الارتقاء بشؤوننا والاهتمام ببعضنا . قالت البنت : هذا الذي كنت أشعر به، لكنني لم أكن أعرف كيف أعبر عنه !.

العقول تتفتح، والنفوس تتطلع، والرغبات تشتعل في أجواء المرح والسرور، وتحدث كل الأشياء السيئة في أجواء الملل والسأم والنكد والخصام، هذا ما يجب أن نعيه بشكل جيد .

٤ـ شيء ينبع من الداخل :

في السنوات الأخيرة، كثر الحديث كثرة غامرة عن التحفيز واستخدام المكافآت في دفع الأبناء إلى القيام ببعض الأعمال، والكفِّ عن بعض

السلوكيات، ومع أنني لا أقلل من شأن ذلك، إلا أن من المهم أن ندرك أن علينا ألا نرسل للصغار رسائل خاطئة؛ إذ إن المكافآت - ولاسيما المادية منها - توحي للطفل بأن قراءته لقصة من القصص عبارة عن تطوع منه، أو عمل يستفيد منه غيره، ولهذا فمن حقه انتظار أجرة أو مكافأة عليه، كما أن من المهم ألا ننساق كثيراً خلف الرأي القائل بأن السلوك البشري يتشكل نتيجة عوامل بيئية تحيط بالإنسان، ففي هذا امتهان لكرامة الإنسان وامتهان للعلم أيضاً، وهناك ما يشير إلى أننا حين نجعل الطفل ينتظر المكافأة على الأعمال التي يقوم بها، فإننا نُضعف الدافع الداخلي لديه. هنا قد يقول أحد الآباء: ما الذي يمكن لأحدنا أن يفعله حين يجد أن ابنه لا يرغب في القراءة، فأنتم لا ترون إكراهه على ذلك، ولا ترون تقديم مكافأة له ؟!.

الجواب هو أنه كلما كان الطفل أصغر سناً كان انجذابه للمكافأة المادية أكبر، لكن ابن التاسعة وما بعدها يتأثر أكثر بالمكافأة المعنوية، ويدرك واجباته ومسؤولياته أكثر نحو نفسه وثقافته ومستقبله، ولهذا فإن علينا أن نهتم أساساً بتوفير الجو الذي يجذب الطفل إلى القراءة والتعلم، وعلينا إلى جانب هذا أن نجعل المكافأة المادية في أضيق الحدود، أما التشجيع وتقديم الأوسمة والثناء، والوعود بقيام بعض الرحلات وبعض الأنشطة، فهذه أمور جيدة، لكن علينا عدم الاستمرار فيها، بل علينا في بعض الأحيان أن نوضح للطفل أن ممارسته للقراءة على نحو يومي شيء لا بد منه، ولا خيار فيه، وإن كثيراً من الأمهات يعلقن الاستجابة لبعض طلبات أولادهن بإنهاء الواجبات المدرسية، أو إتمام قراءة القصة الفلانية، المهم دائماً أن نربي لدى الأطفال الحافز الداخلي والاندفاع الذاتي.

٥ـ الحوار الثقافي :

لا يخلو بيت من البيوت من شكل من أشكال التواصل، لكن ما يجري فعلياً هو تواصل وحوار حول هموم الحياة اليومية وحول الأحداث العابرة، وهذا مع أنه مطلوب إلا أنه لا ينمي حب القراءة لدى الصغار، ولا يساعد على توجيه اهتمامهم نحو الشؤون الثقافية، إن الطفل حين يقرأ قصة ـ مثلاً ـ ويشعر بالاستمتاع خلال قراءتها، أو يشعر بعظمة كاتبها، فإنه يحسُّ بأن القصة صارت ملكه، ولهذا فإنه يُبدي نوعاً من الحماسة للحديث عنها، وينبغي أن نستقبل ذلك بإتاحة الفرصة له بأن يتكلم بإسهاب عما قرأ، فهذا يقوِّي لديه مهارة تلخيص الأفكار ومهارة التعبيرعنها . إن من مسؤولية الآباء والأمهات أن يتأملوا في الموضوعات التي ينبغي أن يقرأ الصغار فيها والموضوعات والقضايا التي ينبغي تشكيل وعي جيد حولها، أحد الآباء كان طبيباً ومتطوعاً في منظمة تهتم بنشر الوعي الصحي لدى الناس، ولهذا فإنه كان يُجري حوارات مع أبنائه الأطفال والمراهقين، حول استخدام الأدوية وتناول الأطعمة وحول أهمية المحافظة على البيئة وغرس الأشجار ... وكان يشتري لأولاده الكتيبات التي تتعلق بهذه الأمور، وكانت نتيجة ذلك أن اثنتين من بناته درستا الطب، وتفوقتا فيه . أب آخر كان باحثاً في شؤون العالم الإسلامي، وكان يهتم اهتماماً واضحاً بالأقليات والجاليات الإسلامية في أوربا، ولهذا فإنه كان يتحدث مع أبنائه عن الجهود التي يبذلها المسلمون هناك من أجل نشر الإسلام والتكيف مع المجتمع، وقد أعد أحد أبنائه بحثاً حول الأسلوب الأمثل للتعامل مع الرسوم المسيئة التي نُشرت في الدنمارك وهولندا وغيرهما ...

الشيء الذي أريد أن أصل إليه هو أن الحوار حول ما يقرؤه الصغار

وإرشادهم إلى الموقف الصحيح من بعض القضايا، لا يقل في أهميته عن وجود الكتب في البيت، كما لا يقل أهميةً عن نشاط القراءة نفسه.

- البيئة المدرسية :

حين يفشل الناس في أمر من الأمور، فإنهم يقعون في التلاوم، وهذا ما يجري اليوم لكثير من العرب والمسلمين، حيث إن هناك إجماعاً على أننا أخفقنا في تحبيب الكتاب إلى الطلاب، وحين تسأل الأسر عن أسباب ذلك يشيرون بأصبع الاتهام إلى المدرسة، وإذا سألت المعلمين أشاروا إلى الأسر، والصحيح أن كل طرف صادق فيما يقوله في الطرف الآخر !

أنا أعتقد أن الأسرة هي المسؤول الأول عن تحبب القراءة إلى الطفل، لكن إذا أردنا أن نكون واقعيين، فإن علينا أن نحمِّل القسط الأكبر من المسؤولية للمدارس، وهذا لسبب بسيط، هو أن كثيراً من الآباء والأمهات أميون، أو قريبون من الأميين، ولهذا فإن الحديث معهم في موضوع كهذا يعد عقيماً ! لا أريد أن أعتب على أحد، ولا أن أستطيل في الشكوى، فهذا يضر، ولا ينفع، ولهذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه باستمرار، هو ما الذي يمكن أن تفعله المدارس في هذا الشأن ؟

الجواب : يمكن للمدارس أن تفعل الكثير الكثير بشرط التخلي عن الأساليب العتيقة في تعليم الأطفال والتعامل معهم، وبشرط وجود درجة من الاهتمام بهذه القضية الجوهرية، ولعل مما يمكن أن تفعله المدارس ـ وبعضها يطبقه بشكل ممتاز ـ الآتي :

١ـ قبل حديثي عن المدارس وما يمكنها القيام به أود أن أقول لأرباب الأسر الآتي :

أ ـ من المهم أن يحرصوا على رياض الأطفال التي تؤمِّن لأطفالهم

جواً مريحاً ومرحاً، وإن كان اهتمامها بالتعليم متدنياً، **فهي أفضل بكثير من رياض الأطفال التي تهتم بالقراءة فقط، فقد دلت التجارب والخبرات الكثيرة على أن بعض رياض الأطفال تمارس ضغوطاً كبيرة على الأطفال كي يتعلموا أموراً معنية، وتكون النتيجة أن يكرهوا الروضة والقراءة معاً .**

ب ـ هناك مدارس تمنح الأطفال وقتاً للقراءة الحرة، وتقوم بالإشراف على ذلك وتنظمه، وهذا يمنح تلك المدارس الأفضلية على غيرها، **وذلك لأن اكتظاظ أوقات الطلاب بالمناهج والمواد الإلزامية حرمهم من متعة القراءة القائمة على الحب والاختيار، مما أدى إلى نفورهم من القراءة والكتاب دون أن يشعر أحد .**

ج ـ يظل للمعلمين بصيرة في أحوال الطلاب واستعداداتهم أفضل ـ في الغالب ـ من بصيرة آبائهم وأمهاتهم، ومن هنا فإنه ينبغي التواصل مع المدرسة حول مستوى الأبناء وتوجهاتهم في موضوع القراءة، **وعلى سبيل المثال، فإن من المهم أن نسأل المعلمين والمعلمات عن مدى مستوى الطفل في القراءة وعن الكتب التي يستطيع قراءتها، وتلك التي يستمتع بمطالعتها، ونسألهم كذلك عن مدى اهتمامه بالقراءة وعن كيفية بعث اهتمامه بها إذا كان غير مهتم ... إن هذا التواصل مع المدرسة مهم جداً لتأصيل عادة القراءة لدى الأطفال، ولكن علينا التذرع بالصبر، فالموضوع ليس سهلاً .**

٢ـ مهما قلنا في تقصير بعض المدارس، فإن هناك حقيقة ينبغي أن لا تغيب عن بالنا، وهي أن المدارس هي التي تعلم الطفل، وهي التي تأخذ بيده نحو تعلم القراءة والكتابة شيئاً فشيئاً، **ومن ثم فإن علينا أن نشجع الأطفال على الوفاء بمتطلباتها من حفظٍ للدروس وكتابة**

للبحوث والواجبات، هذا هو الموقف الصحيح، وبعض الأهل يقفون الموقف المعاكس حيث إنهم يشجعون أطفالهم على التذمر من الواجبات المدرسية، ويتحدثون عن المدارس بشكل سلبي، وهم بهذا يلقون في نفوس أبنائهم بذور كراهية المدرسة، وربما ترك المدرسة، ولهذا فلا بد من الانتباه لهذا . وعلى كل حال فإن استمرار الطفل في كراهية كتابة الواجبات المدرسية على الرغم من كل المحاولات، ينذر بشيء سيئ للغاية ! .

٣ـ يدل بعض الدراسات على أن تخصيص خمس دقائق فقط من وقت بعض الحصص الدراسية لقراءة شيء ممتع وجذاب قادر على رفع المهارات التحصيلية لدى الطلاب في القراءة والكتابة والتعبير، كما أن هذه الدقائق الخمس تقوِّي علاقة الطالب بأستاذه، وتجعله يتفاعل معه روحياً، ويتقبل ما يطلبه منه من واجبات أكثر من ذي قبل، وهذه العلاقة المتينة مهمة جداً للتعلم، ورحم الله القائل : إن العلم روح تُنفخ لا مسائل تنسخ . المهم دائماً أن يقرأ الصغار برغبة وحب، وإلا فلن يتحقق المقصود .

أنا أعرف أن كثيراً من المعلمين يشكون من أن الوقت لا يكفي لشرح كل المنهج في الأصل، فكيف نقتطع منه شيئاً للقراءة ؟

هذا كلام وجيه، ولكن علينا أن ندرك أن تكوين أُلفة قوية بين الطفل والكتاب أهم بكثير من المعلومات التي نلقنه إياها، إنه عمل من أجل المستقبل، ومن أجل الاستمرار في القراءة مدى الحياة .

٤ـ نحن اليوم نشهد موجة من مراعاة الطلاب وتدليلهم وتخفيف الواجبات عنهم، وهذا يتم في المدارس الحكومية والأهلية لأغراض مختلفة، وأعتقد أن هذه الموجة ليست إيجابية، والمطلوب هو العكس،

أي تكليف الطلاب بأعمال إضافية حتى يرتقي مستواهم العلمي، وحتى تنعقد صلة عاطفية وعقلية بينهم وبين الكتاب . إحدى المدارس الممتازة اتبعت منهجاً مثمراً في مسألة تعزيز حب القراءة لدى الطلاب، وهذا المنهج يقوم على الآتي :

أ ـ إدراك عميق بأن المدرسة بوضعها السابق لا تتيح للطلاب أي فرصة للقراءة الفردية الحرة، وأن لدى الطلاب الكثير من الوقت المهدور الذي يمكن أن يستفيدوا منه في ممارسة القراءة .

ب ـ الطلاب بفطرتهم لا يميلون إلى القراءة، ولهذا فلا بد من عمل شيء لتشجيعهم على القراءة وتحبيب الكتاب إليهم .

ج ـ قررت المدرسة ضرب عصفورين بحجر واحد : تكوين عادة القراءة لدى الطلاب وتحسين مستواهم الأكاديمي، وكانت الوسيلة التي يمكن أن تحقِّق ذلك ـ في اجتهاد المدرسة ـ هي تزويد مكتبة المدرسة ومكتبات الفصول بكمية كبيرة من الكتب التي كُتبت بأسلوب مشوق، وتشكل امتداداً وتدعيماً للمناهج الدراسية، وهذه لفتة ذكية جداً، إذ إن اللغة التي كُتب بها كثير من المناهج الدراسية تنفِّر الطالب، وتصرفه عن التعلم، وهكذا فقد تم من أجل تدعيم مواد العلوم المختلفة توفير الكثير من الكتب المتعلقة بالحيوان والبحار والغابات والكثير من الكتب المتصلة بعجائب الطب والفلك والمتعلقة بغرائب الفيزياء والكيمياء وسير المخترعين والعلماء الرواد في هذه التخصصات، وكان من أجمل الكتب التي تم توفيرها تلك الكتب التي تشرح بأسلوب لا يخلو من الهزل كيفيةَ الاستفادة من الفيزياء والكيمياء في حياتنا اليومية، ووفرت المدرسة على هذه الشاكلة كثيراً من الكتب المتعلقة باللغات والعلوم الإنسانية ... وقد تم التركيز في

كل ذلك على الكتب التي تقدم المعرفة بأسلوب قصصي، ولاسيما تلك الكتب المعدَّة للمرحلة الابتدائية، وكان من حق كل طالب أن يستعير كتاباً من هذه الكتب يوم الأربعاء، على أن يعيده يوم السبت، وهناك برنامج يومي للأنشطة اللامنهجية، وكان من جملة مفردات ذلك البرنامج تقديم خمسة من طلاب المدرسة يومياً ملخصات عن الكتب التي اطلعوا عليها، في خمس مجموعات من زملائهم، ومن أجل التحفيز على ذلك كانت المدرسة تقيم حفلاً رائعاً في آخر كل فصل دراسي لتكريم الطلاب الأكثر نشاطاً في استعارة الكتب وقراءتها، وقد نجح هذا البرنامج نجاحاً كبيراً بسبب كون الكتب المتوفرة للإعارة جذابة للغاية، وبعد مرور خمس سنوات على تطبيق هذا البرنامج صارت المدرسة معروفة على مستوى المحافظة بكثرة المتفوقين فيها وبسموِّ أخلاق طلابها.

في إحدى الثانويات العادية في مستواها كان هناك مدرس غير عادي، حيث إن ذلك المدرس كان موسوعي الثقافة وكان محباً جداً للمناظرة والنقاش في المسائل التي تثير جدلاً في المجتمع، ولكون ذلك المدرس يعمل في الإشراف على الأنشطة الطلابية، فقد دأب على تشكيل فريقين من طلاب المدرسة كلَّ شهر من أجل المناظرة في قضية من القضايا المهمة، على صعيد التربية والأخلاق والبيئة والآداب الاجتماعية والشؤون الاقتصادية، وقد كان طلاب المدرسة جميعاً يحضرون ذلك النقاش، وكان الجميع متحمسين جداً لما يقال، وقد ألهب ذلك البرنامج الحواري عواطف الطلاب، فصاروا يتسابقون إلى التسجيل فيه، ويقرؤون الكثير من المواد التي تساعدهم على الفوز في المناظرة التي يستعدون لخوضها، وأعرب بعد ذلك عدد من

الشباب عن أن ذلك المدرس قد أوجد فرقاً هائلاً في حياتهم حيث صاروا يشجعون غيرهم على القراءة والتثقف !.

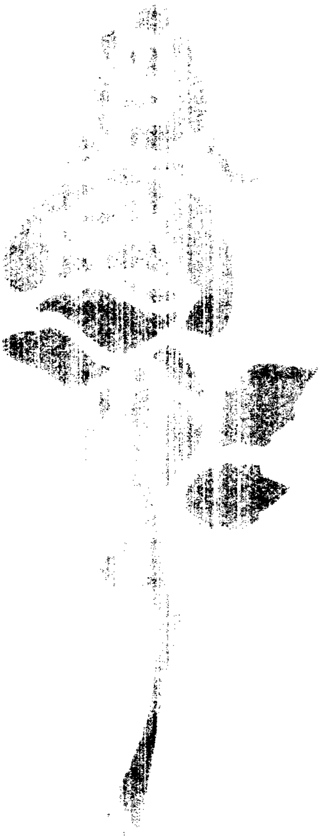
٥ـ إذا لم يتغير أسلوب التعليم في المدارس، فلن يحبَّ أطفالنا القراءة، هذا ما انتهى إليه عدد كبير من المعلمين والآباء الخبراء المجربين، فأسلوب الحفظ والتلقين والخطابة أثناء التعليم أسلوب يجعل موقف الطالب سلبياً من العملية التعليمية، والموقف السلبي يشكل ضغطاً كبيراً على النفس، ويورث الملل والسأم، ويجعل الطالب يستبطن نوعاً من العداوة للكتب الدراسية والمواد المقررة، وهذا ما نلمسه اليوم . المطلوب أسلوب جديد في التعليم يقوم على جهد أكثر يبذله الطالب خلال الحصة الدراسية، ويقوم على الحوار والتطبيق والبحث وتعزيز الجانب العملي، وقد دل الكثير من الدراسات على أن الطالب يتعلم حين يتعب في تحصيل المعلومة، وحين يشترك في عملية اكتسابها، إن الطالب حين يُكلَّف بواجبات تتطلب منه الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع أو الرجوع إلى (النت) فإنه يبدأ يشعر بالاستقلالية في التشبع من المعرفة، ويشعر بلذة اكتشاف المعلومات وبلورتها وسبكها في بحوث علمية صغيرة أو في البرهنة على تجربة من التجارب، ولا أريد الإطالة في هذا الموضوع لأنه بات واضحاً ومعروفاً .

٦ـ من المهم ألا يجعل المعلم ـ وكذلك الأهل في المنزل ـ القراءة جزءاً من عقوبة يقررها على الطلاب، حيث إن بعض المعلمين يظنون أن جعل الطالب يقرأ كتاباً، أو يكتب موضوعاً عشرين مرة هو أفضل عقوبة رادعة ونافعة في الوقت ذاته، وهذا ليس بصحيح لأن الطالب حين يجد نفسه مكرَهاً على قراءة كتاب من الكتب، فإنه يقرؤه وهو

غاضب، وهذا يجعل تذكر فعل القراءة مقروناً بالاحتجاج والرفض مما يباعد بين الطالب والكتاب، وهذا ما لا يصح أن نسمح به .

كنت أود أن أتحدث عن البيئة العامة ودورها في تحفيز الأطفال على القراءة، لكن أعرضت عن ذلك حتى يظل الكتاب ـ قدر الإمكان ـ عبارة عن جسر للتواصل بين الكاتب وبين الآباء والأمهات .





أساليب ووسائل لتشجيع الطفل على القراءة

مسألة غرس حب القراءة في نفوس الأطفال من المسائل التي شغلت، وما زالت تشغل العالم بأسره على مستوى المدارس وعلى مستوى الأسر، وذلك بسبب صعوبة تعامل الكبار مع الصغار وصعوبة فهمهم لأمزجتهم ورغباتهم وحاجاتهم، بالإضافة إلى كون الأطفال يميلون بفطرتهم إلى اللهو واللعب والتصرف حسب المزاج كما أن قدرتهم على الانضباط الذاتي محدودة، ولهذا كله كان هناك الكثير من النصائح والتجارب التي يمكن للآباء الجدد الاستفادة منها في تحفيز أطفالهم على القراءة وجعلها إحدى مفردات حياتهم اليومية .

وأنا هنا سأحاول تقديم أهم ما أعتقد أنه يساعد في هذا الشأن، وذلك عبر المفردات التالية

١ـ الاهتمام أبو الفضائل:

سيلاحظ القارئ الكريم أن ما يُطلَب من أجل تحبيب القراءة إلى الأطفال كثير، وهذا صحيح فمن يرغب في تنشئة راقية، وإعداد أبناء جيدين للحياة، فإن عليه أن يدفع الثمن، وإذا رجعنا إلى الواقع لوجدنا أن معظم الناس يملكون دفع الثمن، لكن ينقصهم (الاهتمام) وبعضهم ينقصه الوعي .رجال كثيرون يحبون أن يكون

أولادهم أفضل الناس، لكنهم لا يعرفون كيف يكون ذلك، ومع هذا إذا وجِد الاهتمام اندفع الإنسان إلى التعلم . إحدى الكاتبات المتخصصات في الكتابة للطفل كانت قبل أن تصبح كاتبة تهتم كثيراً بتربية أبنائها وتعليمهم على نحو متميز، ومن خلال اهتمامها بهم اكتشفت موهبتها في الكتابة، تقول الكاتبة : بدأ مشواري في الكتابة منذ زمن بعيد حين كان أبنائي صغاراً، وقد كنت أقرأ لهم أحياناً في بعض القصص والكتيبات، وكنت في أحيان أخرى أقوم بتأليف قصص لهم من خيالي، وأُدخل فيها ما أريد إيصاله إليهم عبر الأحداث والمواقف التي أمرُّ فيها معهم في حياتنا اليومية، فوجدتهم يحبون أن أكرر قصصي التي ألفتها، وبالطبع قد أنسى بعض ما قلته، فيذكرونني به، فقررت أن أبدأ بكتابة تلك القصص !.

إن التقدم الحضاري الحاصل الآن يجعل من الإهمال في تربية الأطفال شيئاً يقصم الظهر، وهذا التقدم يوسّع الهوة بين الشباب الذين يقرؤون ويعرفون وبين الشباب الذين أفسدهم الفراغ، وخيَّم عليهم الجهل

٢ـ مشاركة الأطفال في القراءة :

تعد العلاقة الحميمة بين الآباء وأطفالهم مصدراً لكثير من الخير ومعبراً لكثير من الخبرات والمهارات، وبما أن جعل الطفل يتعلق بالكتاب من الأمور التي تحتاج إلى عناية فائقة، فإن من المهم أن يدرك الآباء أهمية مشاركتهم لأطفالهم في نشاط القراءة، وهذه المشاركة تتجسد في العديد من الصيغ، وقد لخص كثيراً منها أحدُ المثقفين النابهين حين قال : أنا رجل محظوظ حيث ولدت لأبوين محبين للعلم ومثقفين، فقد كان أبي باحثاً وأستاذاً جامعياً، وكانت

أمي مديرة لإحدى المدارس الابتدائية، وربما لا أتذكر الآن بداية تكويني الثقافي، لكن مما أتذكره الآتي :

أـ كان أبي كثيراً ما يُجلسني في حجره، ويقرأ في إحدى القصص بصوت مرتفع، وكان يتفنن في تغيير طبقات صوته، كما أنه كان يغيِّر في تعابير وجهه بحسب المعاني التي يقرؤها، فإذا قرأ مقطعاً، فيه نوع من السرور أو الغضب أو الحزن أو الافتخار والاعتزاز، فإن ذلك يظهر على وجهه، وأحياناً يشير بيده بما يساعد على توضيح المعنى، وكنت أجد نفسي مشدوداً إليه ومتجاوباً مع حركاته تلك، وقد قال لي ذات يوم : أنت لا تذكر بالطبع حين بدأت بالقراءة لك، قد كنتَ في السنة الثالثة من عمرك، قلت له : ولماذا تُتعب نفسك، وتقرأ لطفل، لا يعي أي شيء مما تقرؤه ؟!

قال لي : كنت أريد أن أعقد صلة روحية بينك وبين الكتاب، وكنت أريد أن تفتح وعيك على الدنيا وأنت تلمس الكتاب بيدك، والقراءة لك كانت هي الوسيلة الوحيدة لذلك

ب ـ كان أبي يحرص على أن أقلب صفحة الكتاب أو القصة حين ينتهي من قراءتها، وبعد أن صرت في السادسة كان يطلب مني أن أضع أصبعي على الصورة المتعلقة بالمقطع الذي يقرؤه حين تكون هناك صورة، وبعد ذلك كان يقول لي : ماذا تتوقع أن يحدث مع البطل بعد ذلك، وصار شيئاً فشيئاً يسألني عن رأيي في المضمون الذي يقرؤه لي، أو أقرؤه أمامه، وكان يبدي إعجابه الشديد، ويثني عليّ حين يكون تعليقي جيداً، كما كان يقول رأيه ليصحح لي رأيي .

جـ ـ الشيء الذي كان يلفت انتباهي هو شدة مراعاة أبي لي، حيث إنه كان حريصاً ألا يدعوني إلى جلسة القراءة إلا وأنا مستعد تماماً لذلك،

وإذا لاحظ أني جائع أو مرهَق، أو لاحظ أنني منهمك في اللعب مع رفاقي أو في أي شيء آخر، فإنه يؤجل جلسة القراءة إلى الوقت المناسب. وقد استمر أبي بالاهتمام بي وبالقراءة معي حتى نجحت إلى السنة الثانية من المرحلة المتوسطة (الصف الثامن) حيث تيقن أنني صرت أملأ كثيراً من أوقات فراغي بالقراءة. أما أمي فقد كانت تحكي لي كل يوم حكاية ممتعة جداً حين آوي إلى فراشي، ولتلك الحكاية تأثير هائل في نفسي...

إن مشاركة الأطفال في القراءة تتطلب أن تكون القراءة جهرية، وهذه الطريقة في القراءة مهمة جداً لتنمية عقول الصغار، فقد أشارت دراسة أسترالية حديثة إلى أن القراءة بصوت عالٍ تعد من الأنشطة الذهنية ـ التي تغذي عقل الطفل، وتؤثر تأثيراً قوياً في تنمية مهاراته الإدراكية، وتنمي التفكير الإيجابي لديه، كما أن الدراسة تشير إلى أن القراءة الجهرية تحفز الأطفال بقوة على الدراسة، وترسخ فيهم حب التعلم، وحين تُصحب بنقاشات وتوضيحات جيدة، فإن فائدتها تصبح أعظم، ولا شك أن علينا بعد التأكد من ترسخ عادة القراءة في سلوك الطفل أن ندربه على القراءة الصامتة حتى يستقل بالاستمتاع بنشاط القراءة، وننسحب تدريجياً من المساعدة المباشرة التي كنا نقدمها له في هذا الشأن . المهم دائماً أن يظل الطفل محتفظاً برغبته في الاستمرار في جلسة القراءة، وأن تتاح له الفرصة للتعبير عن رأيه .

٣ـ ترسيخ عادة القراءة هو الأهم :

ذكرت غير مرة أن إدخال الطفل إلى عالم القراءة ليس بالأمر السهل، ولاسيما أن معظم الناس من حولنا لا يقرؤون ولا يعيرون اهتماماً

لمن يقرأ. الذي يحدث في كثير من الأحيان هو أن كثيراً من الآباء والأمهات يريدون من الطفل أن يبدأ البداية الصحيحة من خلال قراءة الكتب النافعة والراقية، ولهذا فإنهم يشترون للطفل الكتب الدينية والأدبية والتاريخية الراقية، وتكون النتيجة في الغالب تجاهل الكتب والإعراض عنها من قبل الطفل، والسبب ببساطة أن الطفل وجد فيها شيئاً من الصعوبة، أو وجد نفسه لا ينجذب إليها، لهذا فإن من المهم أن نغض الطرف في البداية عن نوعية ما يرغب الطفل في قراءته، ونشتري له الكتب والقصص التي يحبها، ما لم يكن فيها انحراف عقدي أو شيء يخدش الحياء، وهكذا فقد يحب الطفل القراءة في مجلة رياضية أو في سيرة أحد المشاهير، أو يقرأ شيئاً حول الحيوان أو النبات أو البحار .... ومع الأيام ومع شيء من التوجيه سوف يصبح اختياره للكتب أكثر رشداً. لدينا نسبة من الآباء المتعلمين، يكون في منازلهم مكتبات كبيرة أو صغيرة، ومن ثم فإنهم يوجهون أبناءهم لمطالعة بعض ما فيها، وكثيراً ما تكون النتيجة مخيبة للآمال، وهذا بسبب ظنهم أن الكتاب الذي استحسنوه في يوم من الأيام لابدَّ أن يستحسنه أبناؤهم، وهذا غير صحيح . علينا دائماً أن نجعل اختيار الكتب من حق الذي سيقرؤها، ونحن نتدخل إذا وجدنا حاجة للتدخل، وكم من إنسان ظل طول عمره مجافياً للكتاب بسبب أنه في أول عمره أُكرِه على قراءة ما لا يرغب في قراءته !

٤ ـ الكتاب أجمل هدية :

في ظل العزلة والانكفاء على الذات المتنامي هذه الأيام يبحث الناس عن سبل لإعادة التوازن للحياة الاجتماعية، وقد وجدوا في اختراع المناسبات وإقامة المزيد من الحفلات واللقاءات السارة أدوات

جيدة لذلك، ومع كثرة المناسبات كثرت الهدايا التي تقدَّم للأطفال، ويحدث هذا أكثر فأكثر لدى الطبقات الموسرة والمتوسطة، وإن من الأطفال من يتلقى في السنة الواحدة ما يزيد على ثلاثين أو أربعين هدية، وكثير من هذه الهدايا عبارة عن ألعاب وأدوات ترفيه، وبعض الثياب، ويأتي كثيرٌ من هذه الهدايا للأطفال من الوالدين والإخوة الكبار والأقرباء وبعض الأصدقاء المقربين . بعض الآباء النبهاء بدؤوا يشعرون بأن ما يُقدَّم لأولادهم من ألعاب يفوق طاقتهم على الاستمتاع به، وفيه من تضييع الوقت الكثير الكثير، ولهذا فقد صاروا يقدِّمون مع الألعاب بعض الكتب والقصص الجذابة والشائقة، وبعد تقديمها يرصدون مدى استفادة أبنائهم منها، وكثيراً ما يجلسون مع أبنائهم للقراءة فيها ومناقشة محتوياتها .

آباء آخرون صاروا يشاورون أولادهم ويسألونهم عن عناوين القصص والروايات التي يرغبون في قراءتها حتى يقوم الآباء بشرائها . صنف ثالث من الآباء الجادين والواعين صاروا حين تقبل عليهم مناسبةٌ ما يحضون أقرباءهم على أن يكون الكتاب هو الهدية التي يقدمونها لأولادهم . نحن نريد أن يتحرك المجتمع كله في هذه السبيل، نريد أن تكون الكتب هي الهدايا التي تقدم في حفلات القران والأعراس وسكنى البيوت الجديدة والتوظف في عمل جديد وفي الزيارات الخاصة وعيادة المرضى، وفي كل مناسبة يجتمع فيها الناس، وعلى المثقفين وأرباب الأسر الثرية أن يتزعموا هذه الحركة لأن الناس يقتدون بهم .

٥ـ القراءة للطفل كلَّ يوم :

الأطفال الصغار يميلون بفطرتهم إلى الرتابة (الروتين) ويرتاحون

إلى تكرار الأشياء، ومن هنا فإن من المهم أن تحرص الأم (وكذلك الأب) على أن تقرأ لطفلها شيئاً ولو لمدة عشر دقائق، فالقراءة على نحو يومي تلقي في (العقل الباطن)لدى الطفل الإحساس بأهمية القراءة، وإلا لما أصرَّ والده عليها في كل يوم، كما أن المداومة على القراءة توثق الصلة بين الطفل وبين من يقرأ له . نحن نريد أن ينشأ الطفل وهو يشعر بأن القراءة مثل النوم والطعام والشراب واللعب .. شيء يتكرر كل يوم، يقول أحد الكتاب المشهورين : كلما تذكرت عناية والدتي بتعليمي وتثقيفي دعوت لها بالخير، فعلى الرغم من أننا نشأنا في بيئة نائية، وعلى الرغم من أن والدتي لم تدرس سوى المرحلة الابتدائية، فقد كان وعيها بما يمكن أن تقوم به تجاهي يماثل وعي الحاصلات على الشهادة الثانوية، إن لم أقل الشهادة الجامعية، فحين كنت في الخامسة من عمري لم يكن في قريتنا روضة للأطفال لكن كان لدي أم هي أفضل من أي روضة فقد كانت تمزح معي، وتلاعبني يومياً بألعاب مختلفة حتى إذا وجدت أنني أخذت حقي من المرح واللعب، قالت لي : ما رأيك أن نقرأ شيئاً جميلاً مثل الذي قرأناه بالأمس، وكنت لا أتردد أبداً، فعلى الغالب كان مع القراءة حبة من الفاكهة أو قطعة من الحلوى، وكان ما تقرؤه لي منوعاً، فتارة تحفظني سورة من قصار السور، وتارة تقرأ لي في قصة وتارة تسرد علي حكاية من الحكايات الممتعة حول أحد الحيوانات، وكانت تأتيني ببعض مجلات الأطفال القديمة من بيت خالتي التي كانت تسكن في مدينة كبيرة، وتحاول أن تقرأ لي بعض المغامرات الراقية، كما تحاول شرح بعض المعلومات التي تتعلق بالصحة والبيئة ....وكانت والدتي تقرأ ببطء شديد، وكنت كثير التساؤل، وكانت أسئلتي تثير حماستها

فتأخذ في الإجابة الممتعة دون كلل أو ملل، وكانت والدتي تحرص كل الحرص على أن يكون ما تقرؤه لي سهلاً ودون مستواي حتى لا أجد أي صعوبة في الفهم، وفي ذات يوم كان أبي مسافراً إلى بلد مجاور، وقامت أمي بكتابة قائمة بأسماء بعض القصص والكتب التي تناسب سني، وحين أحضرها أبي أخذت تقرأ فيها، لكنها لاحظت أنني لا أتجاوب معها، وسألتني عن ذلك، فقلت لها إني لا أفهم ما تقرؤه، وبعد تأمل أدركتْ أنها تقرأ لي من قصص وكتب أخي الذي يكبرني بأربع سنوات، وليس من كتبي فاستدركت ذلك، وصارت تقرأ لي من الكتب التي اشتراها أبي لي، وصرت أفهم كالسابق. العجيب أن أمي ظلت تقرأ معي حتى صرتُ في الحادية عشرة، وكنت أقول لها : أنا أقرأ بمفردي، ولا أحتاج إلى مساعدتك، لكنها كانت تقول : نحن من سنوات نقرأ مع بعضنا ونستمتع بذلك، ويجب أن نستمر !.

أؤكد مرة أخرى على أن تكون جلسة القراءة جذابة وممتعة، وألا نمارس الإكراه في حمل الطفل على التثقف، فذلك لا ينفعه، بل ينفره من أهله ومن الكتاب معاً.

٦ـ تشجيع بلا ملل :

لدينا طريقتان لجعل الكبار والصغار يقومون بعمل ما : الضغط والإكراه والتهديد والوعيد، أو التشجيع والتحفيز والإغراء، ويدل ما لا يحصى من الشواهد على أن الناس يميلون إلى الطريقة الأولى، لأنهم يجدونها أسهل، فهي لا تتطلب أي جهد يذكر، لكن لدينا أيضا ما لا يحصى من الشواهد على أن تلك الطريقة عقيمة وغير مجدية، وما ذلك إلا لأن فعل القراءة حتى يكون مثمراً، فإنه ينبغي أن يكون فرعاً من حب الإنسان للمعرفة وانجذابه للكتاب، ونحن نعرف أن

القيم لا تُفرض، لكنها تجذب، ومن هنا فان جعل الأطفال ينجذبون للقراءة هو الطريق الوحيد لجعلها جزءاً من سلوكهم وعاداتهم، إن التشجيع الذكي والحكيم يفعل الأعاجيب في نفوس الصغار والكبار، وقد ذكرت إحدى الكاتبات أنها قابلت طفلاً، وقد سألها ذلك الطفل: كيف أقرأ كل كتب العالم؟! تقول الكاتبة: وقد وجدت أن معلِّم ذلك الطفل يقدم له القصص بطريقة مشوِّقة جداً مما جعله يحب القراءة في السنوات الأولى من عمره!. ولعلي أذكر هنا بعض الأفكار والتجارب الناجحة في هذه السبيل:

أ ـ البدايات دائماً صعبة، فإذا وجدت الطفل يقترب من الكتاب، ويبدأ محاولاته للقراءة، فأظهر ابتهاجك بذلك، واحتفل به، واستمع اليه وهو يقرأ، وإذا رأيته يخطئ، فلا تصحح له أخطاءه، وذلك لأننا نريد أن يشعر بمتعة القراءة أياً كانت، ونريد أن يعرف أننا نستحسن أي جهد يبذله في ذلك. بعض الآباء يتصرفون على نحو معاكس، فإذا رأوا أحد أولادهم وقد أمسك بكتاب أو قصة أو مجلة يقولون له: منذ متى كنت تهتم بالقراءة، أو يقولون: أخيراً أدركت أن القراءة جيدة، أو يقولون: المهم أن تداوم على القراءة كما يفعل فلان ... إن هذه التعبيرات وأشباهها تولِّد في نفس الطفل الإحباط والنفور من القراءة، ولهذا فلا بد من الانتباه إلى ذلك.

ب ـــ إذا نظرنا إلى نشاط القراءة على أنه من أفضل ما يمكن أن يتعوده الإنسان، فإنا علينا أن نُفسح له في أوقات الصغار، فقد رأينا في العديد من البيئات آباء يملؤون أوقات صغارهم بالتكاليف المختلفة، هذا أب يجعل ابنه يقضي الكثير من أوقاته معه في مزرعته، وهذا أب يأخذ ابنه معه يومياً إلى متجره كي يساعده في عمله،

وهذا أب كثير الضيوف، فيشغل أولاده بخدمة ضيوفه، وهناك آباء وأمهات وإخوة كبار يوجهون للأطفال الصغار كل خمس دقائق أمراً بإحضار شيء أو قضاء حاجة ... هذا كله يكون على حساب القراءة والاهتمام بالكتاب. **يقول طالب جامعي متفوق جداً: إن أمي هي صاحبة الفضل في هذا التفوق، وهذه الرغبة العارمة في القراءة لدي، فقد كانت تدخل في جدال طويل مع والدي حين كان يريد اصطحابي إلى زيارة بعض أصدقائه، وذلك حتى أتمكن من مذاكرة دروسي وكتابة واجباتي على أفضل وجه، وكانت قد وضعت قانوناً صارماً في المنزل حول ما يطلبه الكبار من الصغار من خدمات، هذا القانون يقوم على أن الطلب لا يُوجَّه أبداً للطفل المنهمك في قراءة شيء أو كتابة واجب، بل كانت في بعض الأحيان تقوم هي بإحضار بعض الأشياء التي طلبها أبي مني حتى لا تقطعني عن القراءة، وقد آن الأوان لأن أعترف بأني كنت أستغلُّ هذه الوضعية، وذلك بأن أحرص دائماً على أن يكون بيدي كتاب، فإذا طلب أحد مني شيئاً سارعت إلى فتحه والقراءة فيه حتى لا أقوم وأقدِّم ما طُلب مني، وبعد مدة صار قلبي متعلقاً بالكتاب إلى أبعد الحدود، ولا أكاد أنتهي من قراءة رواية أو كتاب حتى أشتري أو أستعير كتاباً آخر أو رواية أخرى، وأنا اليوم أدعو كل الأمهات إلى أن يكنَّ مثل أمي.**

ج ـ تحدثت إحدى الأمهات عن تجربة جميلة وناجحة في غرس حب القراءة في نفوس أطفالها، فقالت: أنا أمثِّل قدوة بالنسبة إلى أبنائي حيث إنني إذا شعرت بالملل فتحت كتاباً لأقرأه، وفتحي للتلفاز نادر، فتربى أبنائي على رؤية الكتاب، ثم إنني أحتفظ بالكثير من الأوراق البيضاء والألوان في المنزل، وأشجِّعهم على الرسم ورواية

القصص، وحين يكبر الطفل أجعله يكتب القصة، ولا يكتفي بالرسم، فتكبر لديه مع الأيام ملكة الخيال وحب التأليف والكتابة. وأنا إلى جانب هذا أشجِّع أبنائي على دعوة أصدقائهم إلى المنزل، ويكون اسم البرنامج المشترك مع أصدقائهم هو: (هيا نسمع قصة) ويكون ذلك من شريط كاسيت كنت قد اشتريته لهم. وأخيراً فإن الهدايا التي أقدمها لأطفالي هي عبارة عن كتب وقصص، وأنا أختار لكل طفل ما يحب من قصص وكتب، فابنتي الكبيرة تحب كتب الطبخ والألغاز، والصغيرة تحب الشخصيات الكرتونية...

د ـ نحن نعرف أن من جملة المطلوب من الأمهات تحديدَ وقت لنوم الأطفال، حتى يأخذوا قسطاً كافياً منه، وحتى يستيقظوا إلى صلاة الفجر، ويذهبوا إلى مدارسهم وهم نشيطون ومستعدون للتعلم، لكن بعض الأمهات استطعن إفادة أبنائهن من موضوع تحديد وقت النوم، حيث تذكر إحداهن أنها تصرُّ على أولادها أن يكونوا بين الساعة التاسعة والتاسعة والنصف في سُرُرِهم، لكنها تتغاضى عن الولد إذا جلس في فراشه يقرأ حتى العاشرة أو العاشرة والربع، وتقول في نفسها: إذا كانت القراءة هي التي ستمنع ابني من النوم، فهذا شيء جيد، وتقول تلك الأم الفاضلة: كنت أتعمد وضع بعض القصص الشائقة والخفيفة في جوار أسرَّتهم حتى يتعود كل واحد من صغاري تناول الكتاب والقراءة فيه قبل أن يغمض عينيه!

هـ ـ أحد الآباء اهتدى إلى طريقة جميلة في تشجيع أطفاله على القراءة، وتلك الوسيلة تتمثل في الحرص على إحضار سلاسل الكتب عوضاً عن الكتب المفردة، ورؤيته في هذا تتلخص في أن الأب حين يشتري لأولاده سلسلة مؤلفة من ستة كتب، فإنه قد يضمن أن يقرؤوا

السلسلة كلها، حيث إن الصغار مثل الكبار يظنون أنهم إذا أُعجِبوا بكتاب لمؤلف بحثوا عن باقيي كتبه، و إذا تعلقت قلوبهم بكتاب من سلسلة حرصوا على قراءة باقيها. هذا يقتضي أن نقدم للطفل أولا أكثر كتب السلسلة جاذبية وأشدها التصاقاً باهتماماته.

٧ـ نحن نعرف أن اللغة في الأصل أصوات، والحروف التي نكتبها تشخيص وتجسيد لتلك الأصوات، أي أن صلة الإنسان بالكتابة والقراءة صلة غير مباشرة، ولهذا فهي ليست فطرية أو حتمية، ومن هنا فإننا نجد أن الناس جميعاً يتكلمون، لكن ليس كل الناس يقرؤون ويكتبون، ولهذا فإن تشجيع الطفل على القراءة يتطلب أن لا نترك أي فرصة لجعل الطفل يقرأ أي شيء إلا اغتنمناها، فهذا يوجِد نوعاً من الألفة بينه وبين المكتوبات، يقول أحد الآباء: اكتشفت من وقت قريب أن أبي وأمي قد تآمرا عليَّ وأنا صغير حتى أبدو وكأني مثقف الأسرة، و أفضل من يقرأ الخطوط، ويفك الطلاسم، فقد كان أبي يطلب مني دائماً حين نكون خارج المنزل أن أقرأ اللوحات و اللافتات وأسماء الشوارع التي كنا نمر عليها، وكان كثيراً ما يسألني عن معاني ما أقرأ، وإذا أخطأت في القراءة أو التفسير صحح لي برفق شديد، كما أنه يثني عليَّ ثناء عاطراً حين أقرأ أو أشرح بطريقة صحيحة، وطالما سمعت منه قوله: يا بني أنت موهوب جداً، وأملي أن تكون في المستقبل المثقف الأول في عائلتنا الكبيرة، أما أمي فقد كانت تطلب مني قراءة أي إرشادات تقع تحت يدها: إرشادات الأدوية والأكلات التي تريد طبخها و الألعاب التي تشتريها لي، بل كانت تجعلني أقرأ الإرشادات التي تعطيها إياها جارتنا والتي كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب ... والآن أشعر أن أبي وأمي قد نجحا في

جعلي محباً للعلم والقراءة، فأنا بحمد الله أول شخص يحصل على الدكتوراه في عائلتنا الكبيرة والمكونَّة من بضعة ألوف من الرجال والنساء!.

٨ـ اصطحاب الطفل إلى المكتبة:

هذا الزمان هو زمان المعرفة والعقول المتفتحة، ولهذا فإن تغذية الأدمغة تحتاج منا إلى اهتمام يقترب من اهتمامنا بتغذية أبداننا بل أكثر، إن تغذية الأبدان من أجل أن نبقى أحياء أما تغذية العقول فإنها من أجل أن نحيا الحياة كما ينبغي أن نحياها استقامة وفاعلية وعطاء، إن كثيرين منا يحددون يوماً في الأسبوع من أجل الذهاب إلى السوق وشراء حاجات المنزل الاستهلاكية، والمطلوب أن نذهب إلى المكتبات مرتين في الشهر على الأقل ولو كان ما نشتريه قليلاً، أو كان الهدف مجرد الاطلاع على الكتب الجديدة. الذي ينبغي أن ننتبه إليه هو أهمية أن نجعل الذهاب إلى المكتبة أشبه برحلة ممتعة للأطفال، وإن لأحد الآباء تجربة جميلة في هذا، وقد تحدث عنها في برنامج تلفزيوني، وكان مما قاله: كنت أدرك منذ البداية أهمية تعويد الصغار التردد على المكتبات التجارية والعامة، وكنت أدرك كذلك أن إكراه الأولاد على ذلك سيجهض زياراتنا للمكتبة من معناها وفائدتها، ولهذا فقد كنا نحرص كل الحرص على أن يذهب الأبناء والبنات وهم راغبون، ولهذا فإني كنت أذهب بهم في أيام الإجازات على نحو دوري: تارة كل شهر وتارة كل نصف شهر، وكنا ونحن في طريقنا إلى المكتبة ننشد الأناشيد الجميلة، وأتعمد أنا وزوجتي إطلاق الطُّرَف والنكات الجميلة، وبما أننا نسكن في مدينة كبرى، فقد كان فيها الكثير من المكتبات الكبيرة و الصغيرة، وكنت أحرص

على أن آخذهم إلى أوسع مكتبة في المدينة، ومن حسن الحظ أنه كان فيها قسم كبير لكتب الأطفال، واجهتنا في البداية مشكلة اختيار الكتب والقصص، فالأطفال لا يعرفون دائماً ما هو الأصلح و الأنسب لهم، وقد كاد الخلاف حول ذلك يُفسِد كل المشروع لكن استطعنا التغلب على ذلك بأن أقوم أنا وزوجتي باختيار مجموعة كبيرة من القصص والكتب، ويقوم بعد ذلك كل طفل باختيار كتاب وثلاث قصص من تلك المجموعة. شيء آخر كنا نستخدمه لإضفاء الجاذبية والمتعة على الذهاب إلى المكتبة هو أننا كلما ذهبنا إلى المكتبة اشترينا شيئاً من الحلوى مما يحبه الصغار، وأحضرناه إلى المنزل لنتناوله جميعاً في جو احتفالي بهيج، وكنت إلى جانب هذا قد وعدتهم بأن أشتري لهم لعبة كل شهر، ويكون ذلك أثناء تجوالنا في المكتبة. أما معرض الكتاب السنوي الذي يقام في المدينة، فقد كنا نعد له برنامجاً خاصاً يشتمل على توفير المال وعلى زيارة المعرض مرتين أو ثلاث مرات على الأقل. ويقول الرجل وقد كانت ثمار ذلك عظيمة للغاية حيث صارت ابنتي الكبرى طبيبة وباحثة في علم الطب، وصار ابني الأوسط أستاذاً للتاريخ في إحدى الجامعات المرموقة، أما ابني الصغير فقد اختار أن يدرس الهندسة، وهو الآن مهندس مشهور !

٩- اختيار الكتاب الجيد:

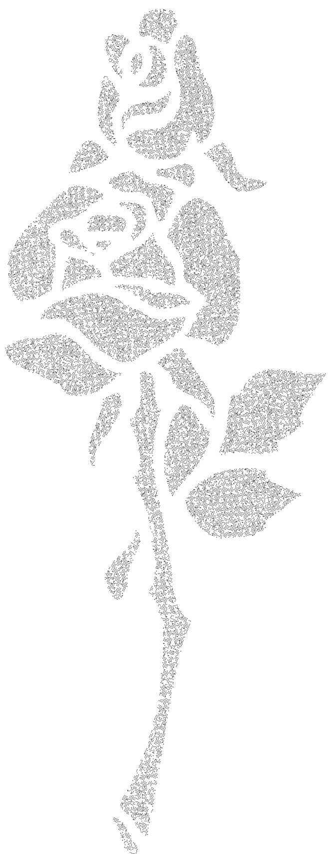
نحن الآن في عصر الألوان والأذواق المترَفة وفي عالم السعة والبدائل والمقارنات الكثيرة، وهذه المعطيات تجعل الأطفال لا يرتاحون أو ينجذبون إلى قراءة الكتب التي لا تتوفر فيها عناصر ومقومات معينة. **نحن معاشر الآباء والمعلمين في حاجة للتعرف على مواصفات**

الكتاب الجيد، وفي حاجة إلى أن نشرحها لأطفالنا وفتياننا، فابن الثانية عشرة يستطيع أن يكتشف الكتاب الجيد والكتاب الأكثر ملاءمة له، يقول أحد الناشرين: كما أن الطفل لا يركض ويلعب من أجل تقوية عضلاته، وإنما من أجل المتعة، فهو كذلك لا يقرأ من أجل الفائدة وإنما من أجل التسلية والمتعة، ومن هنا كانت أهمية توفير الكتاب الممتع، ويقول الرجل: شاركت في ثلاثة معارض للكتاب في كل من القاهرة وتونس والشارقة، وقمت بعمل ثلاثة اختبارات- إن صحت تسميتها اختبارات- حيث أحضرت معي مجموعات مختلفة من كتب الأطفال: كتب ليس فيها أي رسومات، وكتب فيها رسومات عادية، وكتب ذات ورق فاخر وطباعة مكلفة، بالطبع ضاعفت قيمة هذه الكتب وخفضت من قيمة الكتب غير المرسومة، واكتشفت أن الطفل يميل إلى الكتاب الأنيق والمرسوم بغض النظر عن السعر، حيث لم يلعب الوضع الاقتصادي الصعب أي دور في حصول الطفل على الكتاب الجيد. قلت وأنا شخصياً شاهدت هذا في كتب الكبار حيث يدفع الناس ثمن الكتاب ولو كان مرتفعاً حين يكون أنيقاً وجميلاً. الكتاب الجيد إذن هو كتاب جميل في شكله ومقاسه ورسومه وألوانه، والكتاب الجيد هو كتاب ملائم لسن الطفل، فابن الثامنة لا يستمتع ولا يستفيد حين يقرأ قصة كتبت لابن الثانية عشرة، ثم إن الكتاب الجيد هو الكتاب الذي يوحي على نحو خفي بالقيم العظيمة التي ينبغي أن يتربى عليها الطفل المسلم مثل الإيمان والصدق والتعاون والجدية والتسامح ... ومن المؤسف أن كثيراً من كتب الأطفال مشحونة بالموعظة المباشرة، وهذا منفِّر جداً للأطفال. كلما صغر سن الطفل كان من الأفضل أن تكون كلمات الكتب أو القصص كبيرة

وواضحة، و كان من المهم ترك مساحات فارغة بين مقاطع الصفحة الواحدة، فهذه تشكلّ محطات استراحة للطفل. أيضاً كلما صغر سن الطفل كان من المهم جعل كلمات الصفحة قليلة وجعل معظم مساحاتها مملوءة بالصور الجميلة والملونة. **السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن للمرء أن يتعرف على مضمون الكتاب، وما يتمتع به من جودة و ملاءمة؟**

العناصر الأساسية لكل الكتب هي الغلاف والمقدمة والخاتمة ومحتوى الكتاب وفهارسه. على غلاف الكتاب نقرأ عنوان الكتاب واسم المؤلف والناشر وتاريخ النشر، ونحن نعرف أن هناك مؤلفين مشهورين جداً في الكتابة للطفل، فيحرص المرء على اقتناء كتبهم، كما أن تاريخ النشر مما يستحق الملاحظة عند الشراء، فإذا كان قديماً فإن الأرقام والمعلومات المتعلقة بالتقنية تصبح شبه منسوخة بسبب التطور السريع الذي تشهده تقنية المعلومات وغيرها. من المفيد كذلك قراءة المقدمة وشيء من محتوى الكتاب وشيء من عناوينه الداخلية حتى نعرف مستوى معالجة المؤلف للقضايا التي يتحدث عنها. نحن بحاجة إلى أن ندرِّب أطفالنا على اختيار الكتب بأنفسهم من خلال شرح هذه الأمور، لكن هناك شيء يجب أن لا ننساه، وذلك هو قدرة الكتاب أو القصة على لفت انتباه الطفل وجعله يتعلق به، وينصرف عن اللعب والأمور الأخرى، ولهذا فإننا حين نذهب إلى مكتبة كبرى، فإننا سنجد مقاعد مريحة للمطالعة، فلنجمع ما نريد شراءه من كتب، ولنجعل الطفل يتصفح كل واحد منها مدة خمس دقائق، فما ينجذب إليه يمكن أن يكون من بين الكتب الجيدة، ويمكن أن لا يكون، أما إذا لم ينجذب إليه، فلن تكون هناك فائدة

من شرائه ولو كان الكتاب في نظرنا جيداً. كثيرة الأساليب التي يمكن أن نتبعها في تشجيع الطفل على القراءة، وأعتقد أن ما قدمناه منها كافٍ لبلوغ ما نريد إذا أخذناه بقوة، وعملنا بجد وإخلاص ومثابرة؛ والله مولانا.



كيف نحكي للطفل؟

نحن نعيش الآن في عصر الاتصال، وهو أيضاً عصر الانفصال، فالأطفال والكبار يتواصلون مع البعيدين منهم- عبر وسائل الاتصال الحديثة- على حين يشعرون بالعزلة عمن حولهم، وهذا شيء مؤذٍ، لأن الذي يستطيع رعاية مصالح الطفل وتنشئته التنشئة الصالحة هم أهله وأسرته، وليس الأصدقاء والفنانين والرياضيين وكل من يسمون (نجوم المجتمع). على مدار التاريخ كانت الشكوى في مجال التربية لا تتركز في عدم معرفة الناس لما ينبغي عليهم قوله لأطفالهم أو نقله إليهم من مفاهيم ومبادئ، وإنما كانت تتركز في الأسلوب الناجح الذي يمكن استخدامه في ذلك، والحقيقة غير السارة هي أن الإخفاق - كان في الغالب- هو سيد الموقف! لو تأملنا في الكتاب العزيز لوجدنا أن نحواً من ثلثه عبارة عن قصص وأخبار من سبقنا من الأمم، وكأن في هذه إشارة إلى أن القصة مهمة في تعريف الإنسان على نفسه وإمكاناته وواجباته والتحديات التي حوله ... وصدق الله تعالى إذ يقول: « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ...»[1] وقد كان (الحكي للأطفال) من الوسائل

١- سورة يوسف ١١١

الجيدة التي اخترعها الوعي البشري للتواصل مع الطفل وتوجيهه وتعريفه على نفسه والعالم من حوله، ولعلي أتحدث عن حكايات الأطفال عبر المفردات التالية:

لماذا نحكي للطفل؟

نحن نبحث اليوم عن وسيلة للتقليل من سيطرة التلفاز والألعاب الإلكترونية والجوال ... على وعي الطفل ووقته، وأعتقد أن الحكي للأطفال هو وسيلة جيدة لذلك، وقد كانت المجتمعات الإسلامية في عصور شيوع الأمية تجد في القصص والحكايات الشعبية الوسيلة شبه الوحيدة للتثقيف ببعض أحداث التاريخ ولنشر المبادئ والأخلاق الكريمة، ونحن لا ننسى السهرات الطويلة في بعض البلدان حيث كان الناس يتحلقون حول من كانوا يسمونه (الحكواتي) إذ يقوم بسرد قصص الشاطر حسن و عنترة بن شداد ... وأذكر إلى هذه اللحظة كيف كنا نتحلَّق حول والدتي- رحمها الله تعالى- وهي تحكي لنا عن هجرة بني هلال من الجزيرة العربية إلى أفريقيا، وكيف كانت تحدثنا عن بطولات أبي زيد الهلالي ومكره وفنونه في التحايل والتخلص من المآزق ... كنا نجلس وكأنَّ على رؤوسنا الطير، وكثيراً ماكنا نرفض بعض الأوامر بالذهاب إلى النوم قبل أن نسمع منها شيئاً من ذلك، ولقد كانت- رحمها الله- تكبو وهي تحدثنا، فنوقظها، وتطلب منا أن نذكِّرها بآخر ما قالته حتى تستأنف الكلام ... باختصار نريد من وراء الحكي والسرد للأطفال الوصول إلى أربعة أمور أساسية هي:

- إمتاع الطفل وتسليته وملء وقت فراغه.
- تقوية الرابطة بين جميع أفراد الأسرة وتوفير وقت للقاءات مشتركة.

- تنمية الجانب العقلي والانفعالي لدى الطفل وإثراء خبراته.
- توجيه الطفل وغرس القيم والمبادئ والمفاهيم الإسلامية السامية في نفسه.

لن ننجح في الوصول إلى الأهداف الثلاثة الأخيرة إلا إذا حققنا الهدف الأول، حيث إن الطفل إذا لم يستمتع بالحكاية، فإنه لن يستمع، ولن يتفاعل. وليس من الصعب على الآباء والأمهات معرفة ما إذا كانت حكاياتهم وطريقة تقديمها جذابة أو غير جذابة، فإذا رأيت الطفل مصغياً إليك منصرفاً عن كل شيء، فهذا يعني أنه مستمتع بما تحكيه له، وإذا رأيت أنه يطالبك باستمرار بأن تحكي له حكاية جديدة أو قديمة، فهذا يعني أن أسلوبك في الحكي قد راقه. **أنا أنصح الآباء والأمهات أن يحفظوا الكثير من الحكايات الجميلة وذات المغزى وهي متوفرة الآن في الكتب وعلى (النت) حتى يفاجئوا صغارهم دائماً بالجديد الممتع.**

حكايات للتعرف على البيئة:

يأتي الطفل إلى عالمنا، وهو يجهل كل شيء، ولذلك فإنه يتوجس خيفةً من كل شيء، ويرتبك في التعامل مع أي شيء، ومن مهمة الحكايات أن تجعله يتفهم ما حوله، بالإضافة إلى توليد درجة من الطمأنينة إلى مفردات البيئة المحيطة، والحقيقة أن هذه العملية تستمر مدة طويلة جداً، لكن لابد من البدء بها، ونحن على سبيل المثال نعرف أن الطفل يخاف من الحشرات ومن الظلام والأصوات المرتفعة والأشكال الغريبة وغير المألوفة، ويمكن من خلال الحكايات أن ننزع منه الخوف من كل ذلك؛ هذا طفل اسمه محمود يدرج في السنة الرابعة من عمره كان جالساً يأكل، وينظر إلى التلفاز، فإذا بعنكبوت يمشي على سطح

الغرفة التي هو فيها، فصار الصبي يصرخ، وينادي أباه كي يحميه من العنكبوت، فقال له والده اطمئن لن يؤذيك، وبعد أن هدأ روعه قال له والده: في أحد الأيام كان هناك طفل، اسمه محمود وبينما هو يأكل ويلعب، جاء عنكبوت لزيارته ، وهنا قاطعه الصغير قائلا: هل العنكبوت يعض يا أبي؟ هنا قال الأب: إن العنكبوت جارنا، وهو عنكبوت طيب لا يؤذي أحداً. قال الصغير: إذن لماذا دخل بيتنا يا أبي؟ قال الأب جاء ليزورنا ويسلِّم علينا، وبعدها سيذهب إلى أسرته كي يطعم أولاده الصغار. انصرف الصغير إلى ما كان فيه، وغض الطرف عن العنكبوت وتحركاته. إن مثل هذه الحكاية يثير في نفس الطفل مشاعر الأمان والتعاطف مع تلك الحشرة الضعيفة، وتجعل الطفل يتحرك في المنزل، وينام وهو مطمئن، كما أنه يحسِّن في مستوى خبرته بالبيئة المحيطة.

- حكايات لبناء القيم والمبادئ:

لا يعرف الأطفال شيئا عن القيم، ولا يعرفون أي شيء عن معايير الصواب والخطأ، كما لا يعرفون شيئاً عن الأمور اللائقة اجتماعياً والأمور غير اللائقة ... وهم في حاجة إلى من يعلِّمهم كل ذلك، وتشكل الحكاية وسيلة مثالية لغرس جميع القيم والأخلاق السامية، وهي أفضل بديل عن الوعظ المباشر وعن اللوم والتوبيخ. إن الأمانة خلق عظيم وفضيلة من أمهات الفضائل، وإن الحكايات الشعبية التي تحض عليها، وتوضح حلاوة عواقبها كثيرة جداً، ومن تلك الحكايات ما يروى من أن امرأة كانت تعيش مع زوجها في مكة المكرمة قالت: يا زوجي العزيز ليس عندنا طعام نأكله ولا ملبس نلبسه، فاخرج إلى السوق وابحث عن عمل، فخرج الرجل، ولم يجد

أي عمل، وبعد أن تعب من البحث، توجَّه إلى بيت الله الحرام، وصلى هناك ركعتين، وأخذ يدعو الله بأن يفرِّج همه ... وما أن انتهى من الدعاء وخرج إلى ساحة الحرم وجد كيساً، فالتقطه وفتحه، فإذا فيه ألف دينار، أسرع الرجل إلى بيته، وأخبر زوجته بذلك، فقالت له: لابد أن تبحث عن صاحب المال، وترده إليه، فهذا المال لا يحل لنا، وفعلاً ذهب الرجل إلى الحرم، فوجد رجلاً ينادي: من وجد كيساً فيه ألف دينار، فليردَّه إليَّ؟ فرح الرجل الفقير، وقال: أنا وجدته، خذ كيسك، فقد وجدته في ساحة الحرم، فما كان من الرجل المنادي إلا أن نظر طويلاً إلى الرجل الفقير، ثم قال له: خذ الكيس، فهو لك، وهذه تسعة آلاف أخرى هي أيضاً لك. استغرب الرجل الفقير، وكاد قلبه يطير من الفرح، وقال له: لم تفعل هذا؟ قال المنادي: أعطاني رجل من بلاد الشام عشرة آلاف دينار، وقال لي اطرح منها ألفاً في الحرم، ثم نادِ عليها، فإن ردَها عليك من وجدها، فادفع المال كله إليه مكافأة له على صلاحه وأمانته. في إمكان الأم بعد سرد هذه الحكاية على صغارها أن تناقش معهم المغزى منها، فابن الثانية عشرة يستطيع استخراج المعاني الشرعية والأخلاقية منها، ومن تلك المعاني:

- اللجوء إلى الله- تعالى- عند الشدة.
- الدور العظيم للمرأة في حرص الأسرة على لقمة الحلال.
- أمانة الرجل وتعففه عن أخذ مالٍ ليس له.
- أمانة المنادي الذي نفَّذ وصية الرجل الشامي بحذافيرها.
- الثقة بأن الله- تعالى- يجازي على التقوى بإيجاد الفَرَج بعد الضيق.
- من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه.

وهكذا لدينا الكثير الكثير من الحكايات التي تساعدنا في غرس القيم العظيمة في نفوس الأطفال مثل: الصدق والوفاء والرحمة والتسامح والعفو والاستغناء عن الناس والجديَّه والاستقامة والتوكل على الله- تعالى- وحبه والإنابة إليه ...

حكايات لتنمية الوعي والمنطق السليم:

للبشرية جمعاء خبرة واسعة وتجارب عريضة في فهم منطق الأشياء وفي فهم ملامح التصرف والحكم الصحيح، وقد أودعت الأمم كل تلك الخبرات ... فيما لديها من أساطير وقصص وحكايات، مما أتاح لذلك أن ينتقل من جيل إلى جيل، وإن علينا اليوم أن نجعل من كل ذلك أدوات في تنشئة الأجيال الجديدة، وسأحاول هنا سوق ثلاث قصص قصيرة لتوضيح ما أريد:

أ ـ كان هناك ثعلب يعاني من جوع شديد، فأخذ يبحث عن أي شيء يسدُّ رمقه، فرأى تجويفاً كبيراً في شجرة بلوط، وفي ذلك التجويف وجبة طعام تركها ثلاثة من الرعاة ليتناولوها بعد القيلولة، فما كان من الثعلب إلا أن التهمها كلها، فامتلأت معدته، وانتفخ جسده، وبعد ذلك أراد الخروج من التجويف قبل أن يأتي الرعاة، وينتقموا منه، فلم يستطع، فأخذ يصيح، ويعوي، فسمع صياحَه ثعلبٌ آخر كان ماراً في الطريق من جانبه، فسأله عن سبب عويله وصياحه، وحين روى له القصة قال له الثعلب الحكيم: ابق كما أنت حتى تجوع وتعود المعدة إلى طبيعتها، وعندئذ تخرج بكل سهولة...

إن الدروس المستفادة من هذه القصة عديدة منها:

- حين يكون الواحد منا في أزمة شديدة، فإنه يُقدم على فعل أي شيء دون أن يفكِّر في العواقب، ومن ثم فإنه قد ينتقل من مشكلة إلى

مشكلة أخرى كما جرى مع الثعلب.

- الثعلب الجائع أكل ما ليس له، ومن ثم فإن نصيحة الثعلب الحكيم قد تكون جيدة، وقد تكون سبباً في هلاك الثعلب الجائع، فماذا يحدث لو جاء الرعاة، وأخذوا يضربونه وهو محصور في مكان ضيق؟ الخطأ يعرِّض الإنسان إلى أن يقف المواقف الصعبة والخطرة .

- تقوم نصيحة الثعلب الحكيم على مبدأ عظيم من مبادئ الحياة، هو أن هناك مشكلات لا يحلها إلا الزمن ومرور الوقت، ولهذا المبدأ تطبيقات كثيرة.

ب ـ تجمعت الأنهار في يوم من الأيام، وتقدمت بشكواها إلى البحر، وقالت له: لماذا حين نصل إليك، ونغمرك بمياهنا الصالحة للشرب تقوم أنت بتحويلها إلى مياه مالحة لا يستطيع أحد أن يشربها؟

استمع البحر إلى شكوى الأنهار، ثم أجاب في هدوء: العلاج بسيط لا تأتوا إليَّ وعندئذ لن تكون مياهكم مالحة، وستظل عذبة. المغزى من هذه الحكاية:

- تحوُّل مياه الأنهار العذبة حين تخالط مياه البحر إلى مياه مالحة شيء طبيعي، فالقليل يذوب في نهاية الأمر في الكثير، ويتلاشى، وكأنه لم يكن.

- ما يعانيه الناس يكون في الغالب مما صنعت أيديهم وليس بسبب العدوان عليهم.

- على المرء أن يعالج مشكلاته بنفسه دون أن يلوم غيره.

- إذا وضعتَ نفسك بين يدي الأسد، فالشيء الطبيعي هو أن يأكلك، وهذا ما يفعله البحر بالأنهار التي تصب فيه.

ج ـ كان أحد الشباب يتجول في غابة من الغابات، فإذا بشبل أسد

(صغير الأسد) فخاف منه الشاب خوفاً شديداً، ولا سيما أنه لايحمل معه أي سلاح لمقاومته. شبل الأسد أحب أن يدخل في حوار مع الشاب، وهذا أراح الشاب كثيراً. قال الشبل: من أنت؟ قال الشاب: أنا إنسان. هنا قال الشبل، أنا لا أنسى أبداً نصيحة أبي بعد أن ولِدتُ بقليل. قال الشاب: وما نصيحة أبيك؟ قال الشبل: قال لي أبي: نحن الأسود سادة الغابة، وليس فيها من يمكن أن نخافه، أو يتغلب علينا، لكن هناك مخلوق، اسمه إنسان يأتي إلى الغابة، ويتجول فيها، هذا يا بني أقوى منا، وعليك أن تحذره أشد الحذر. يا ترى لماذا حذَّرني أبي منك؟ قال الشاب : حذَّرك مني لأن لي عقلاً يساعدني على تدبير أموري والتغلب على أعدائي. قال الشبل: أرني عقلك، إنه بالتأكيد شيء غريب ومدهش. قال الشاب: عقلي ليس معي، وقد تركته في المنزل. قال الشبل: اذهب، وائتني به حتى أراه. قال الشاب: أستطيع أن أذهب، ولكن أخشى أن أتعنَّى، وآتي به إلى هنا فأجدك وقد غادرتَ المكان. قال الشبل: أنا أقطع على نفسي عهداً صادقاً بأن لا أتحرك من هذا المكان حتى تعود من بيتك. قال الشاب: وما الضمان لتنفيذ وعدك؟ قال الشبل: أنا صادق ومستعد لتقديم أي ضمان تريده. قال الشاب الضمان: الوحيد الذي أقبل به هو أن أشدَّ وثاقك إلى هذه الشجرة، وحين أعود من المنزل أفكه، وأتركك طليقاً. قال الشبل: أنا موافق. هنا أسرع الشاب وبحث عن شيء يربط به الشبل، ثم بحث عن عصا غليظة، ثم انهال بالضرب على ذلك الشبل المسكين حتى آلمه أشد الألم، ثم قال له قبل أن يتركه، ويمضي: هذا ما حذَّرك منه أبوك !

المغزى من هذه القصة:

- كان على شبل الأسد أن يكون أكثر حذراً حتى لا يحدث له ما

حدث؛ ولا سيما أن والده قد نبهه إلى قوة الإنسان.

- كان الشاب بارعاً وذكياً جداً حين استطاع جلب شبل الأسد إلى ساحته التي يحسن اللعب فيها، وهي ساحة الحوار والإقناع.

- العقل هو النعمة العظمى والقوة الهائلة التي أكرم الله- تعالى- بها بني الإنسان .

حكايات لتنمية الحس الاجتماعي:

السلوك الاجتماعي يدل دلالة واضحة على شخصية الإنسان بل إن معظم أخلاق الواحد منا لا يظهر إلا من خلال احتكاكه بغيره، وبما أن من طبيعة اجتماع الناس بعضهم ببعض أنه يولِّد الكثير من التصادم والتوتر بينهم، كان لزاماً علينا معشر الآباء والأمهات أن ننمِّي في شخصيات أطفالنا المعاني التي تساعدهم على تفهم الآخرين والتعاطف والتعاون معهم. الحكايات التي يمكن أن تُستخدم في هذا كثيرة، سأقتصر هنا على واحدة منها، وهي عبارة عن حوار ممتع بين شيئين متضادين، هما (القلم) و (المحاة)، وقد اجتمعا داخل مقلمة واحدة:

قالت المحاة: كيف حالك يا صديقي؟

أجاب القلم: لست صديقك!.

دُهشت المحاة من كلامه، وقالت: لماذا؟

رد القلم: لأنني أكرهك.

قالت المحاة بحزن: و لم تكرهني؟

أجابها القلم: لأنك تمحين ما أكتب.

ردت المحاة: أنا لا أمحو إلا الأخطاء.

هنا أبدى القلم انزعاجه، وقال: وما شأنك أنت بالأخطاء؟!

أجابته المحاة بلطف: أنا محاة، وهذا هو العمل الوحيد الذي

أُحسِن.

رد القلم: هذا ليس عملاً!.

نظرت الممحاة في عيني القلم بقوة، وقالت: عملي نافع مثل عملك.

القلم ازداد انزعاجاً، وقال لها: أنت مخطئة ومغرورة.

هنا أظهرت الممحاة استغرابها، وقالت: لم تقول هذا؟

قال القلم: لأن من يكتب أفضل ممن يمحو ...

قالت الممحاة: إزالة الخطأ تعادل إثبات الصواب.

أطرق القلم لحظة،، وكأنه يتأمل في كلامها، ثم قال: صدقت يا عزيزتي!.

فرحت الممحاة وقالت له: أما زلت تكرهني؟

أجابها القلم وقد أحسَّ بالندم: لن أكره من يمحو أخطائي.

قالت الممحاة في لهجة تصالحية: وأنا لن أمحو ما كان صواباً.

قال القلم: ولكن أراك تصغرين يوماً بعد يوم!

أجابت الممحاة: لأني أضحي بشيء من جسمي كلما محوت خطأً.

قال القلم بلهجة حزينة: وأنا أشعر أني اليوم أقصر مما كنت في الماضي!.

قالت الممحاة مواسية للقلم: لا نستطيع إفادة الآخرين إلا إذا قدَّمنا تضحية من أجلهم.

قال القلم مسروراً: ما أعظمك يا صديقتي وما أجمل كلامك!.

فرحت الممحاة، وفرح القلم، وعاشا صديقين حميمين لا يفترقان، ولا يختلفان.

المغزى من القصة:

– من المهم أن يعرف الإنسان دور الآخرين في الحياة، وأن يعترف

بمساهماتهم الإيجابية.

- الحوار يؤدي إلى نتيجة حتى بين الذين يظنون أنهم أعداء.

دور الممحاة يكمِّل دور القلم، و كثير من الناس يكمل بعضهم بعضاً.

- شيء من التضحية بحب وطيب نفس ضروري لاستقامة الحياة الاجتماعية والشعور بالرضا.

حين تحكي الأم، أو يحكي الأب مثل هذه الحكايات للأطفال فليقصها بأسلوب تمثيلي مشوق، يستخدم فيه حركات الوجه واليدين وما أمكن من حركات الجسد، بالإضافة إلى تغيير طبقات الصوت من أجل محاكاة شخوص الحكاية بالدقة الممكنة، كما أن من المفضل أن يُترك للصغار استخلاص العبرة والمغزى بأنفسهم،فإن لم يستطيعوا، فلنحدثهم عما تستوعب عقولهم منه.

نحكي للطفل أم نقرأ له؟

يطرح هذا السؤالَ عدد كبير من الآباء والأمهات، لأنهم وجدوا من يحثهم على القراءة للطفل، كما أنهم وجدوا من يحثهم على سرد الحكايات الشفوية، **والجواب على هذا السؤال يتلخص في الآتي:**

أ ـ القراءة للطفل والحكي له أسلوبان ممتازان في تعليم الطفل **وفي التواصل معه، ومشكلتنا الأساسية مع الآباء الذين لا يقومون بهذا ولا ذاك.**

نحن هنا لا نتكلم عن القراءة من الكتب، وإنما عن القراءة من القصص والروايات القصيرة، وذلك لأن الكلام الشفوي لا يغني عن القراءة من الكتاب لأسباب واضحة.

تمتاز القراءة من القصة بعدد من الميزات، منها ربط الطفل بالكتاب،

وهذا مهم جداً في سنوات الطفل الأولى، وسيكون من الرائع أن يضع الطفل يده حول الصورة التي يدور حولها كلام القاصّ، وإذا أخطأ الطفل نبهته والدته إلى الصواب، كما أن من الجميل أن يقلب الطفل الصفحة حين تفرغ والدته من قراءتها، ونحن نريد أن تقوم صلة شعورية جميلة بين الطفل وبين الكتاب، وهذا يتوفر من خلال القراءة منه، ثم إن الأب- وكذلك الأم- قد يجد صعوبة في أن يحفظ الكثير من القصص الجذابة على حين أنه يستطيع أن يُحضر لأطفاله مئات القصص الجيدة، ويقرأ منها كلما أحب. أضف إلى هذا أن الطفل ينجذب إلى رؤية الصور- وعصرنا هذا هو عصر الصورة- لأنها تساعده على التخيل وفهم معاني الكلام الذي يسمعه، ولا سيما إذا كان رسام القصص محترفاً، وكانت الألوان جميلة وجذابة. وعلينا أن لا ننسى بعد كل هذا شيئاً مهماً، هو أن القاصَّ- أباً كان أو أماً- حين يكرر الحكاية على أطفاله مرات عديدة، فإن هناك احتمالاً قوياً لأن يحكيها بطرق مختلفة، فيزيد فيها، وينقص، وقد تعلَق بأذهان الأطفال بعض المعاني التي يفتقدونها بعد ذلك مما يجعلهم يظنون أن من يقص عليهم ليس صادقاً، وقد حدث هذا بالفعل، حيث قال أحد الآباء: ألحَّ عليَّ أولادي أن أحكي لهم إحدى الحكايات الأثيرة لديهم، وكنت قد نسيت بعض تفاصيلها، ولكن لم يكن هناك بدٌّ من تلبية رغبتهم، فحكيت لهم ما أتذكر منها، وبعد أن فرغتُ، فإذا بأصغر الأبناء يقول لي بطريقة عفوية وساذجة: أبي أنت كذاب!. هذه المشكلة لا يجدها المرء وهو يقرأ الحكاية من كتاب.

يمتاز الحكي للطفل أيضاً بعدد من الميزات الأساسية، والتي من أهمها تلك العلاقة الودية الحميمة التي تنشأ بين القاصِّ وبين الطفل،

إن سرد الحكايات للأطفال فن ممتع للغاية، ولذلك فإنك حين تسرد للصغار حكاية مدهشة ترى في عيونهم معاني الامتنان لك وللسرور الذي أدخلته عليهم. إنك حين تقرأ للطفل من شيء مكتوب فإن الطفل إذا كان في السابعة وما بعدها يستطيع أن يستغني عنك، ويقرأ مما قرأت منه، لكنه لن يجد بديلاً عنك ليحكي له الحكاية التي تعوَّد سماعها منك بالأسلوب الخاص والجميل الذي تستخدمه في سردك. ولا ننسى أن الحكي للصغار يجعل العيون غير مرتبطة بالنظر إلى أي شيء، سوى عيون الأطفال، وهذا يتيح للنظرات المتبادلة بين الكبار والصغار أن تنظم التفاعلات الداخلية، وتجعل بالتالي تأثر الأطفال بما يسمعونه أكبر، وهذا ما لمسناه في الكثير من المناسبات.

الخلاصة:

لكل من القراءة من شيء مكتوب وللكلام الشفوي خصائصه وميزاته، وعيوبه، ومن هنا فإن علينا إذا قرأنا القصة قراءة أن نحذر من ملل الصغار وسأمهم، وإذا حكينا فعلينا أن نحذر من الوقوع في التناقض أو اختلاف مضامين ما نكرر روايته.



6

حكاية ما قبل النوم:

كانت مشاغل الصغار والكبار في الماضي أقل بكثير مما هي عليه اليوم، ولهذا فإن اجتماع أفراد الأسرة ساعات طويلة كان متاحاً في معظم الأحيان، ونظراً لانعدام وسائل الإعلام ووسائل اللهو، فقد كانوا يجدون في الروايات الطويلة والحكايات الشعبية الجميلة ما يُمتعهم جميعاً، وكان للأطفال نصيب كبير من ذلك، والحقيقة أن (حكاية ما قبل النوم) جزء من الإرْث العربي العتيد، وكان في البيوت الكثير من الجدات والأمهات البارعات في ذلك، وقد كان الصغار ينتظرون قدوم الليل بلهفة وشغف حتى يستمتعوا بسماع ما هو مدهش و معجب. و إذا أردنا بيان أهمية حكاية ما قبل النوم على نحو موجز فيمكن أن نقول الآتي:

ـ بعض الأمهات يدخلن اليوم في جدل عريض مع أطفالهن حتى يذهبوا إلى فرشهم، ويخلدوا إلى النوم، وهذا الجدل يستمر في بعض الأحيان ساعة أو أكثر، وهذه الساعة تكون مزعجة ومؤذية للجميع، وإن في إمكاننا أن نجعل منها ساعة خاصة وممتعة جداً للقاء الأبوين -أو أحدهما- بالصغار، وهذا ما يلمسه على نحو واضح الآباء والأمهات العارفون بقيمة حكاية ما قبل النوم والمداومون على

تقديمها للأبناء.

ـ في خلال النهار تُصدر الأم الكثير من الأوامر التي لا تطاع، ويفعل الصغار الكثير من الأشياء التي تغُضب الأم، وربما وقَّعت على طفلها بعض العقوبات ... ولهذا فإن من الرائع أن يُختَم النهار بختام جميل يتحلق فيه الصغار حول أمهم لتحنو عليهم، وتُدخِل عليهم السرور، إن حكاية ما قبل النوم هي فرصة لتهدئة الخواطر وتندية المشاعر وفرصة للاندماج و التفاعل بين أفراد الأسرة جميعاً، ولهذا فإننا نرى أن الأم المتعلمة تنشر بين أفراد الأسرة الاهتمام بحكاية ما قبل النوم، وقد ذكر بعض الباحثين أن الأمهات الألمانيات ينظرن إلى حكاية ما قبل النوم نظرة تقدير بالغ، حتى إن الواحدة مستعدة لترك كل ما بين يديها من عمل في سبيل المكوث في سرير الصغير تروي له وتحكي. وبعض الدول خصصت وقتاً في بعض فضائياتها لبث حكايات ما قبل النوم يومياً، ومع أن هذا لا يشكِّل بديلا جيداً عن حكي الأم لأطفالها إلا أنه خير من لاشيء، وإذا كان الأبوان غير قادرين لأي سبب عن الجلوس مع أطفالهما، فإن تسجيل بعض الحكايات بصوتهما يشكل حلاً أيضاً لكن لا يصح أن يستمر ذلك، وأن يكون هو القاعدة.

ـ حين ينام الإنسان فإن عقله يظل مشغولاً بالماضي، وشيء جيد أن نجعل آخر ما يسمعه الطفل قبل أن ينام شيئاً لطيفاً و ممتعاً، يقول أحد الشباب المبدعين: أعدُّ نفسي مديناً في إبداعاتي وتميزي لروح التفاؤل الذي أشعر به حتى في أقسى الظروف، وهذه الروح نماها لدي أبي فقد كان بطبعه متفائلاً وطموحاً ومرحاً، وقد كان متعلماً على حين أن أمي كانت أمية، لهذا فإنه هو الذي كان يجلس معي في

معظم الليالي مدة ربع ساعة قبل أن أنام، وكنت أستمتع بحكاياته غاية الاستمتاع، وأشعر بحماسة شديدة وتوثب قوي نحو المستقبل، ولم أكن بالطبع أعرف أسباب ذلك، لكن الآن بعد أن كبرت وتعلمت أدركت السرَّ، فقد كان أبي يسوق لي الحكايات التي ينتصر فيها الخير على الشر والعدل على الظلم، كما كان يحكي لي عن الناس العاديين الذين استطاعوا من خلال المثابرة أن يحققوا نجاحات عظيمة، وكان لا يكتفي بأن يحكي لي بل كان يذكر تميزي، حيث كان يقول لي: حين كنت في الثالثة كنتَ تنطق جميع الكلمات بطلاقة ووضوح، كما كان يذكِّرني بمواقفي المهذَّبة مع الجيران و الضيوف، ويذكرني بتفوقي الدراسي ... وكنت منذ الصغر كثير الأسئلة، فأنا أحب أ ن أفهم كل شيء، ولهذا فإنني كنت أسأل أبي عن معاني كل الكلمات التي لا أفهمها، وإذا ذكر حيواناً أو شيئاً لا أعرفه كنت أسأله عنه، فإذا لم يستطع توضيحه لي، قلت له: هو يشبه ماذا؟ وكان أبي صبوراً وواسع الصدر، حتى إنني لا أذكر أنه تجاهل أي سؤال من أسئلتي الكثيرة. إن حكاية ما قبل النوم تجعل الطفل يشعر بالحنان والأمان والمساندة، وهذا يدعم جهاز المناعة لديه، وينظِّم الهرمونات داخل جسمه، فينمو بصورة طبيعية وجيدة.

حكاية ما قبل النوم كيف ينبغي أن تكون؟

نحن في تقريرمعايير الحكاية الجيدة تابعون لحكم الطفل، وكما أن التجار يقولون: «إن الزبون دائماً على حق» نقول أيضاً : الطفل دائماً على حق، إذ إن هدفنا الأساسي هو تسليته وإسعاده وتوجيهه والارتقاء به، وفي إمكان الأم أن تعرف ما إذا كانت قاصَّة جيدة أو (حَكايَّة) ماهرة، وذلك من خلال حرص أطفالها على حكاياتها،

فهناك أمهات يبذلن جهوداً كبيرة من أجل جمع أولادهن للاستماع إليهن، وهم يتعللون بكتابة الواجبات أو النعاس ... وهناك من تحكي لأطفالها حكاية وحكايتين في الليلة الواحدة، وترغب في انصرافهم إلى النوم لكنهم يتمسكون بها، ويرغبون في استمرارها في السرد. ومع أهمية انجذاب الأطفال وكونه مفصلياً في هذا الأمر إلا أن علينا أيضاً أن ندرك مصالحهم العاطفية والتنموية على نحو عام، وهذا يعني أن نستخدم الحكاية في إيصال بعض الرسائل إليهم، وترسيخ بعض المفاهيم في أذهانهم. وهذه بعض الملاحظات المفيدة في هندسة (حكاية ما قبل النوم) أوردها في الحروف الصغيرة التالية:

ـ حكاية مناسبة:

حين يكون الطفل في الثالثة، فإن قدرته على فهم الحكايات تكون محدودة، كما أن صبره على متابعة الحاكي تكون أيضاً محدودة، ولهذا فإنه يُفضِّل أن تدور الحكاية حول عدد محدود جداًمن الأشخاص، بل يُفضِّل ألا يزيدوا على شخصين، وألا تزيد مدتها على ثلاث دقائق. وحين يصبح الطفل في الخامسة، نقوم باختيار الحكايات التي تدور حول ثلاثة أو أربعة أشخاص، وتطول مدتها حتى تصل إلى خمس دقائق، وحين يصبح الأطفال في الحادية عشرة، فإن مدة الحكاية قد تصل إلى ربع ساعة، كما أن أشخاصها قد يصلون إلى ستة أو سبعة ... و هكذا كلما كان عمر الأطفال أكبر أمكن لنا أن نختار حكايات أطول وأعقد في حبكتها الفنية. في ليالي الشتاء الطويلة وفي ليالي الإجازات يمكن للأم أو الأب قراءة جزء من رواية جميلة تَعلِّق بها الأطفال، ويمكن للوقت أن يطول حتى يبلغ الساعة، المهم دائماً إقبال الأطفال وتفاعلهم ورغبتهم في السماع.

حكاية بسيطة:

نحن نقوم بسرد حكاية ما قبل النوم في وقت، يمكن وصفه بالحرج، فبعد يوم طويل من الحركة واللعب والدراسة وكتابة الواجبات، أو الملل والسأم والمنازعات بين الصغار والكبار، وقبل أن يخلد الصغار إلى النوم نأتي نحن الكبار لنقول للصغار شيئاً نراه مفيداً ومسلياً، في هذا الوقت لا تكون استعدادات الدماغ في أفضل أحوالها، ولهذا فإن حكايات المساء الجيدة هي الحكايات التي تقوم على فلسفة بسيطة، لا تعقيد فيها ولا عمق ولا توسع في الاستطراد أو زيادة في الحشو وسوق الجمل المعترضة والأحداث العارضة، وهذا يتحقق حين نحكي للصغار حكايات تشتمل على رسائل محدودة، وهكذا فإن من الممكن أن نجعل كل حكاية تدور حول موضوع واحد مثل الصدق والشجاعة والقوة والتواضع والمروءة وعواقب إيذاء الآخرين، كما يمكن أن تدور الحكاية حول الأم العطوف والابنة الوفية والأخت المشفقة والجار الغني والسلطان العادل والمدرس المجدّ والتاجر الجشع والثعلب الماكر والأرنب الأكول ... ويمكن شرح الرسالة التي تحملها الحكاية بأسلوب بسيط ومختصر.

حكاية مؤثرة:

لدى الصغار قابلية للتأثر تشبه قابلية الكبار، ولهذا فإن الأم حين تجد في حكاية من الحكايات معنى أو موقفاً مؤثراً ومثيراً فإن الطفل سيشعر بما شعرت به أمه، ومن هنا فإن من المستحسن أن تحكي الأم لصغارها عن بعض الأحداث التي مرت بها، أو بعض الحكايات الشيقة التي حكتها لها والدتها حين كانت صغيرة، تقول إحدى الأمهات: حدثتني والدتي أن قريتنا مرت بفترة قحط شديد، حيث كفَّتْ السماء عن المطر

سنوات عديدة، وقد أدى هذا إلى تراكم الديون على المزارعين، وإلى نفوق كثير من مواشيهم، تقول لي: وقد كنتُ أنا في الثاية من عمري، وإن أبي قد هاجر مع بعض أصحابه إلى أمريكا الجنوبية، وترك عبء تربيتك وأختك الأصغر عليَّ، وقد انقطعت أخبار أبيك سنوات عدة، وخلالها واجهت صعوبة بالغة في الإنفاق عليكما، لكن الله- تعالى- لم ينسنا من فضله، حيث زارنا في أحد الأيام صديق عزيز لوالدك، وأعطانا ربع ما يملك من مواشي، فصرنا نرعاها ونهتم بها وبعد خمس سنوات تحسنت أحوال أبيك في المهجر، وصار يرسل لنا المال وبعد ثلاث سنوات أخرى حضر ومعه الكثير من المال، ولما سمع بما فعله جارنا ذهب إليه وأعطاه ضعف ما أعطانا من شياه ... قالت الأم حدثت أبنائي بهذا مرات عديدة، و بأسلوب شائق جداً، وكانوا في كل مرة يسألونني عن سبب سفر أبي وعن الهدايا التي أحضرها معه لنا، وعن ذكريات أبي في غربته...

حكاية نهايتها سعيدة:

يتفاعل الصغار تفاعلاً كبيراً مع الحكايات، وحين يكون الواحد منهم في سن الخامسة فإنه لا يفرِّق بين ماهو واقعي وما هو خيالي، ولهذا فإنه يحمل كل ما يسمعه على محمل الجد، ومطلوب من الذي يقدم حكاية ما قبل النوم أن يجعل خاتمتها جميلة وسعيدة، ينتصر فيها الحق على الباطل، ويعطف فيها القوي على الضعيف، ويتراجع فيها الظالم عن ظلمه، ويتوب فيها المخطئ ... حتى ينام الطفل نوماً هادئاً ومريحاً، ونحن حين نحكي للأطفال، نصنع بطلاً للقصة أو أبطالاً، يتعلَّق بهم الصغار ويتأثرون بهم، ولهذا فإن من المهم أن تنتهي الحكاية بنهاية سعيدة لأبطالها حتى يشعر الصغار بالسعادة والأمان.

إن الصغار يحبون المفاجآت، ولهذا فلا بد أن تكون خاتمة الحكاية مجهولة وغامضة بالنسبة إليهم، وإلا فقدت عنصراً مهماً من عناصر الجذب والتشويق.

حكاية تحرك الخيال:

نريد لحكاية ما قبل النوم- وكل الحكايات- أن تحرك ذهن الطفل، وتبعثه على التخيل والتفكر، والتساؤل والتأمل وهذا يأتي من عدد من الأمور: سؤال الطفل أثناء سرد الحكاية عن المتوقّع من بطل القصة، وعن الطريق الذي سيسلكه، أو نسأله عن النهاية التي ستنتهي إليها الحكاية، ويمكن في هذه الحالة منحه عدداً من الخيارات، أو تركه يقرر ما يراه مناسباً، وعلى سبيل المثال فإذا كان بطل القصة هو طالب الثانوي محمود، وكانت القصة تتحدث عن رحلته في الحياة، فإن في إمكان الأم أن تسأل الطفل: يا ترى هل سيكمل محمود تعليمه، أو أنه سيلتحق بوظيفة، أم سيلتحق بالسلك العسكري، أو أنه سيجمع بين الوظيفة والدراسة، إن هذا سيجعل الطفل يثق بنفسه، كما أنه سيولِّد لديه روح التعاون والمشاركة، وهو إلى جانب ذلك يحثه على التخيل وتخمين الاحتمالات. وحين يصير عمر الطفل إحدى عشرة سنة، فإنه سيكون في الإمكان تشغيل آلة التفكير لديه من خلال حكي الوالد أو الوالدة للنصف الأول من الحكاية، وترك النصف الثاني للطفل حتى يتخيله، ويقصَّه في اليوم التالي،وسيكون في إمكان الأب والأم مناقشته في ذلك وإدخال تعديلات على ما يقوله حتى يتطابق مع فحوى الحكاية الأصلية، أو يقترب منه.

أمور سلبية:

الحكايات الموروثة عن الآباء والأجداد تعكس رؤيتهم للحياة

والانطباعات التي تركتها تجاربهم في نفوسهم، وبما أن الأمة قد مرت بفترة انقطاع حضاري دامت قروناً، فإن من المتوقع أن تكون أساليبهم في الحكي والرسائل التي يريدون إيصالها للصغار مشوبة بالنقص والخلل، وهذه إشارات سريعة إلى شيء من ذلك:

- إن الطفل- كما أشرنا من قبلُ- ملول، وبما أن حكاية ما قبل النوم هي على نحو ما عبارة عن جهد للتمهيد للنوم، فإنه ينبغي أن تكون قصيرة، ولاسيما حين يكون التزام الأم والأب بها يومياً، ومن قِصَرها اختصار المقدمة الحكائية: «كان يا ما كان في قديم الزمان، نحكي أم ننام؟ نحكي ونبدأ حكايتنا بالصلاة على خير الأنام...» الأولى أن يقال بصوت واضح وجماعي: بسم الله الرحمن الرحيم، يحكى أنه كان هناك رجلٌ بخيل .. وتختتم الحكاية بالحمد لله رب العالمين وبالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- يجب أن تظل عملية (الحكي) جذابة إلى آخر كلمة، لكن بعض الآباء والأمهات يحكون لصغارهم بطريقة ممتازة، لكنهم يعكِّرون ذلك بكثرة أسئلة الأطفال عما فهموه من الحكاية، وإذا تبين لهم أن الطفل شرد أثناء سرد الحكاية، فإنهم يوبخونه، وقد قال أحد المراهقين: معظم الأطفال يحبون حكاية ما قبل النوم، أما أنا فمن القليل الذين لا يحبونها، وذلك لأنني لما كنت في السابعة كنت أحب سماع حكايات أبي حباً شديداً، وكنت أكثر إخوتي تعلقاً بها، لكن بعد فترة صار أبي يكثر من إلقاء الأسئلة علينا حول الحكاية التي يحكيها لنا، حتى إني صرت أشعر أن جلسة سماع حكاية أبي أشبه ما تكون بجلسة لأداء اختبار شفوي أمام معلم صارم، وزاد الطين بلة أن أخي الذي أكبره بسنة ونصف كان سريع البديهة، ولهذا فإنه كان

يسبقني إلى الجواب، وهذا جعل أبي يقارن بيني وبينه على نحو سلبي بل قال لي مرة: إنك على ما يبدو لا تحب أن تتعلم، فأبي كان يظن فعلاً أن الحكاية أشبه بدرس ينبغي أن نحفظه!.

- لو تأملنا في الشخصيات الفنية المستخدَمة في الحكايات الموروثة من عهود وحقب عربية مختلفة لوجدنا أن مؤلف الحكاية كان يُبرز في الشخصية الواحدة صفة واحدة، قد تكون الكرم أو الشجاعة أو اللؤم أو الجشع أو الدهاء، ويُسدِل الستار على باقي الصفات، وهذا هو السر في تعلق الصغار بأبي زيد الهلالي وحاتم الطائي وعنترة بن شداد وكثيرين غيرهم، إن هذا الاتجاه له سلبيتان واضحتان الأولى: تشكيل عقلية الصغير على نحو غير صحيح حيث يصبح لديه اعتقاد أن هناك أشخاصاً هم كتلة من الخير والنقاء والفضيلة، كما أن هناك أشخاصاً هم كتلة من الشر والرذيلة، وهذا طبعاً غير صحيح، فما من شخص إلا لديه بعض الصفات غير المرغوبة وبعض الصفات الجيدة.

الثانية: هي أن الطفل حين يتعلق ببطل من أبطال القصة، فإنه ينام منزعجاً وقلقاً حين يصاب ذلك البطل بمكروه، وهذا يكون واضحاً جداً في الحكايات والروايات الطويلة التي تحكيها الأم لأولادها في جلسات عديدة، ونحن نريد من حكاية ما قبل النوم أن تكون سبباً في إسعاد الطفل ونومه نوماً هادئاً مطمئناً. ومن هنا فإن علينا اختيار الحكايات بدقة، وأن نلمِّح ونصرِّح بأن لدى بني الإنسان جميعاً ألواناً من الخير والشر والصواب والخطأ، لكن يغلب على بعضهم جانب الخير، كما يغلب على بعضهم الآخر جانبُ الشر.

-كثير من الحكايات الموروثة تصوِّر للأطفال ما تم في تاريخنا من تغيير وإصلاح ومدافعة للظلم والشر ... على أنه حدث بسبب

دهاء بعض المصلحين أو القادة أو الوزراء، أو تم عن طريق المكر والخداع أو عن طريق وقوع أحداث عجيبة لم تكن في الحسبان، وهذا يتناسب مع ما كان يراه الناس فعلاً في عهود الانحطاط، لكنه غير صحيح، وهو مؤذٍ لعقول الصغار والكبار. قد تعلمنا من ديننا ومن تجربتنا وتجارب غيرنا أن الإصلاح له أسبابه ووسائله المعروفة وأن تغير البيئة يحتاج إلى تغيير مافي الأنفس أولاً، كما أن التغيير يكون دائماً متدرجاً وبطيئاً، وتعلمنا أن حياتنا يجب أن تقوم على الصدق والشفافية، وليس على المكر والاحتيال، ولهذا فإن من المستحسن إذا حكينا للأطفال حكايات، فيها شيء مما ذكرناه، أن نطرح هذا الموضوع للنقاش ونثير حوله التساؤلات برفق، ونوجِّه الصغار التوجيه الصحيح والمناسب.

-بعض الحكايات الموروثة تنشر الفكر التصالحي، وتروِّج للحلول التي تُرضي كل الأطراف، وهذا لا يخلو من شيء من الإيجابية، وهو يعزز روح التضامن والتفاهم، لكن جعل الأطفال يعتقدون أننا حين نختلف، أو تقع مشكلة بين طرفين، فإن مع كل طرف شيئاً من الحق، فهذا ليس صحيحاً دائماً، فهناك في أحيان كثيرة معتدٍ ومعتدىً عليه، وهناك حق ظاهر وواضح، وباطل أيضاً ظاهر وواضح. ونجد في القصص الموروثة أيضاً دعوة قوية وعريضة للقناعة و الرضى والصبر حتى تتغير الأحوال، وهذه المعاني سامية في الأصل، لكن تستخدم بطريقة خاطئة، فالمسلم حين يقع في كرب يتلقاه بالحمد والثناء ثم يستعين بالله- تعالى- ويحاول معالجة الأمور على قدر استطاعته؛ كما أن الأجيال الجديدة تحتاج اليوم إلى من يشجِّعها على الإقدام والمغامرة والعمل من أجل النجاح والتفوق.

تقول إحدى الأمهات: حين كنت حاملاً بطفلي الأول قرأت عدداً جيداً من الكتب التربوية، وقرأت كذلك عدداً من قصص الأطفال، ولفت نظري شيء مهم هو أن كثيراً من تلك القصص يستهدف تسلية الصغار ليس أكثر، والمشكل أن في كثير منها مفاهيم مخالفة للعقيدة، ولا تساعد الطفل على أن ينمو نمواً عقلياً وعاطفياً صحيحاً، وكانت لي جارة كبيرة في السن ومثقفة ثقافة عالية، وحين حدَّثتها بملاحظاتي وافقتني على ذلك وأخرجت لي دفتراً فيه ما يزيد على خمسين حكاية قصيرة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سن السادسة والتاسعة، وقد رأيت شيئاً رائعاً، هو تعليق على كل حكاية منها، وذلك التعليق غير منظم بشكلٍ وافٍ، لكن كان فيه الكثير من الملاحظات على ما في تلك الحكايات من أخطاء وسلبيات، كما أن فيه إرشادات وتوجيهات تشتمل على الدروس المستفادة من بعض تلك الحكايات وكيفية التعامل مع بعض الأخطاء التي فيها، وقد استفدت من ذلك واستخدمته عند سرد تلك الحكايات، وكانت النتائج باهرة حيث إن معلمي أولادي في مدارسهم كانوا معجبين بتفوق المحاكمة العقلية لديهم على أقرانهم، أما جاراتي وقريباتي، فقد كنت أسمع منهن باستمرار أن أولادي يتكلمون بطريقة هي أكبر بكثير من أعمارهم...

-أجمل شيء يختتم به المسلم يومه هو ذكر الله- تعالى- والثناء عليه وقراءة الأذكار الواردة في هذا، وإن من المؤسف أن أسراً كثيرة لا تهتم بهذا الأمر بالنسبة إلى أطفالها. ذكر الصغير لله- **تعالى**- قبل أن يخلد إلى النوم يوفر له جواً إيمانياً يعبق بالطمأنينة والسكينة، ويخفف الكثير من التوترات التي قد يكون الطفل عانى منها أثناء النهار،

ومن هنا فإن توصية الصغار أن يقرؤوا أذكار النوم من الأمور المهمة. إن ابن الثالثة قد لا يستطيع حفظ الأذكار ونطقها بشكل سليم، ولهذا فقد نعلِّمه أن يقول وهو يحاول النوم: : الحمد لله، أو سبحان الله، أو لا إله إلا الله. أما ابن الرابعة فيمكن أن يحفظ أدعية النوم كاملة، فإذا لم يستطع حثثناه على قراءة ماتيسر له منها مع قراءة سورة الصمد والمعوذتين. فإذا تجاوز الطفل الخامسة، لم يصعب عليه حفظ أي شيء منها ... المهم دائماً أن نذكِّر الصغار، وأن نسألهم بين الفينة والفينة عما إذا كانوا يداومون على ذلك.

سوف يزداد وعينا بأهمية الحكي للأطفال وأهمية حكاية ما قبل النوم كلما ازداد اهتمامنا بتنشئة جيل أوعى من جيلنا وأفضل.

7

■ تشجيع المراهق على القراءة

تبدأ مرحلة المراهقة بعد الثانية عشرة، وهذه المراهقة المبكرة، أما المراهقة المتوسطة، فتبدأ حين يقترب الفتى من السادسة عشرة، وتنتهي عند الثامنة عشرة لتبدأ مرحلة المراهقة المتأخرة، وتستمر إلى نهاية الحادية والعشرين مع وجود فرق طفيف بين مراهق ومراهق.

مرحلة المراهقة هي مرحلة متوسطة بين الطفولة والرشد أو الطفولة والشباب، وإنما خصصنا المراهق بحديث مستقل في مسألة التشجيع على القراءة، لأن المراهق ليس ذلك الصغير الذي يبحث عن اهتمام والديه، والذي يجده حين يجلس في حجر أمه، وتأخذ في القراءة له، وقد تحدثت عن صعوبة التعامل مع المراهق وعن الحواجز التي تنشأ بينه وبين أهله في الجزء الرابع من هذه السلسة (المراهق) وكان مما ذكرته هناك أن المراهق إنسان مشغول بنفسه ومحاولة فهم التطورات السريعة التي طرأت على الجانب النفسي والبدني لديه ومشغول بكيفية التعامل معها، و هذا يجعل استثارة اهتمامه بالقراءة أصعب من إثارة اهتمام ابن السابعة أو ابن الثامنة، أضف إلى هذا أن مرحلة المراهقة هي مرحلة تأسيس للهُوية الشخصية ومرحلة نزوع إلى الاستقلالية، ولهذا فإن المراهق ينفر نفوراً شديداً من الوعظ

المباشر، ويقاوم أي ضغط عليه، من هنا فإن التحفيز والتشجيع هما الطريق السريع إلى جعله يقرأ، وليس أي شيء آخر. المراهق متأرجح عاطفياً، أي شخص مزاجي، حيث إنك تجده في بعض الأحيان في غاية الانبساط، وتجده أحياناً في غاية الانزعاج والانقباض، وقد لا تستطيع معرفة الأسباب في كلا الحالتين!.

وهذه بعض الإضاءات حول تشجيع المراهق على القراءة:

البيئة أولاً:

بات من الواضح أن تأثير البيئة في سلوكيات من يعيش فيها قوي جداً، ويعمل على نحو خفي، والبيئة المهتمة بالقراءة تعني وجود القدوة من أب وأم وإخوة كبار. **المشكل لدى كثير من الأسر أن الكبار لا يقرؤون، فينشأ الأطفال، ويكبرون دون أن يروا النموذج الإرشادي الذي يقلدونه! البديل عن البيئة وعن النموذج هو الوعظ والنصح القائم على التناقض، حيث تقول الأم لبناتها: إن القراءة ضرورية، وإن على الواحدة منكن أن تقرأ يومياً ساعة على الأقل ... البنات يسمعن الموعظة،و يقلن في داخلهن: أمنا لا تقرأ ولا عشر دقائق، ولو كانت القراءة مهمة إلى هذه الدرجة، فلماذا لا تقرأ هي، ولا سيما أنها تقول لنا: إن على الإنسان أن يغذي عقله بالقراءة مدى الحياة؟!**

من الواضح لدينا أن كثيراً من الآباء لايقرؤون لأن أعمالهم التي يكسبون منها أرزاقهم لا تتصل بالمعرفة، ولا تتطلب الاطلاع على الجديد من قريب أوبعيد، على عكس ماهو موجود في الدول المتقدمة، حيث إن (٤٠٪) من الوظائف في أوروبا- مثلاً- على صلة بالعلم والبحث، مما يجعل القراءة لدى الذين يشغلون تلك الوظائف جزءاً من سلوكهم اليومي. **أما النساء في معظم الأسر العربية والإسلامية،**

فإنهن لا يقرأن لأن كثيرات منهن أميات وكثيرات أيضاً يعتقدن أن وظيفتهن في الحياة هي أداء الخدمات اليومية للمنزل، وبعضهن يعتقد أن وظيفتهن هي خدمة الزوج وتأمين جو جميل له، ولا شيء بعد ذلك!.

أقول للآباء مهما كان عمل الإنسان مهنياً وحرفياً وبعيداً عن العلم، فإن عليه أن يقرأ على نحو يومي ليس من أجل الارتقاء في وظيفة، أو الزيادة في مرتَّب، وإنما من أجل معرفة أمور دينه وفهم الحياة من حوله ومن أجل الارتقاء بعقله ومواكبة التطور الثقافي لأولاده، فالقراءة ينبغي أن تكون أساسية لكل واحد منا، وإذا كنا لا نستمتع بها، فإن ذلك يعود إلى نوعية الكتب التي نشتريها حيث إننا لاندقق بما يكفي عند اختيارها، وعلى الواحد أن يقرأ لمصلحة الأسرة ومن أجل توفير جو يعبق بالعلم والفكر والإبداع...

أما الأمهات فإن عليهن أيضاً أن يقرأن حتى يتعلمن أصول تربية الأبناء، وحتى يؤدين أعمالهن المنزلية بإتقان ومهارة، وأيضاً من أجل التعرف على ما عليهن التعرف عليه من أحكام الشريعة وآدابها، وحين يفعلن ذلك فإنهن يسهمن في توفير البيئة التي تدفع أبناءهن وبناتهن إلى القراءة واصطحاب الكتاب. إن ضربة واحدة على الجذور أفضل من مئة ضربة على الأغصان، وإن مساهمتنا الأساسية في جذب أولادنا إلى القراءة ينبغي أن تتركز فيما نفعل، وليس فيما نقول.

لماذا لا يقرأ المراهقون؟

كما أشرت من قبل لا يُعد نشاط القراءة من الأنشطة المحبَّبة لمن لم ينشأ عليه، ويعرف قيمته، وحين ينشأ المراهق في أسرة لا تهتم بالقراءة، فإن السؤال الذي ينبغي أن يُطرح هو: لماذا يقرأ المراهق؟

وبما أن معظم الأسر لا تنظر إلى القراءة نظرة تقدير فإن من الطبيعي ألا يهتم معظم المراهقين لدينا بالكتاب ومطالعته، فإذا أضفنا إلى هذا عدم نجاح المدارس فيما أخفقت فيه الأسر ازدادت قناعتنا بعظم المسؤولية التي يجب أن ينهض لها الآباء والأمهات اليوم!

يفضِّل كثير من المراهقين التعرف على الحياة من خلال السماع والتجربة المباشرة على التعرف عليها عن طريق القراءة، بل إن المراهق قد يعتقد أن ما يعرفه كافٍ، ولن تضيف إليه القراءة الكثير، يقول أحد الآباء: ابني يدرس في السنة الأولى من المرحلة الثانوية، وهو متفوق جداً في دراسته، ويتمتع بجرأة نادرة، وأنا طالب علم ومجلسي دائماً هو مجلس لتداول المسائل العلمية وللحوار في الشأن العام، وكان ابني يشارك ضيوفي في الحوار، وهم يعجبون من أسلوبه في النقاش ووعيه الذي لا يتناسب مع عمره، ولكن ولدي لم يكن يطالع في كتاب غير كتب المدرسة، وكنت أعطيه المال ليذهب إلى المكتبة، ويشتري ما يشاء من القصص والروايات والكتب، وكان يعِدني بأن يفعل ذلك، لكنه لم يفعل، بل كان يقول لوالدته: أنا لا أشعر أن قراءة الكتب والروايات ستفيدني فأنا أناقش أصدقاء الوالد، وأحجُّهم، بل قد أفحمت بعضهم قبل شهر، المهم هو العقل والذكاء وليس المعلومات والحكايات...!

المراهق إلى جانب هذا يرى في الدخول على الإنترنت ومشاهدة الفضائيات وسائل للتثقيف الممتع، وهي أحياناً تقدم معرفة أغزر وأوسع مما يقدمه الكتاب، هذا ما سمعناه من العديد من المراهقين.

المراهقون ينفرون أحياناً من القراءة بسبب الإلحاح الشديد من قبل الأهل أو المعلمين، الضغط على المراهق ومداومة توبيخه على

التقصير في القراءة يؤدي إلى نتائج عكسية، فأمزجة المراهقين لا تتحمل الإكراه على أي شيء.

وسائل لتحفيز المراهق على القراءة:

نحن نواجه مشكلة عويصة هي ندرة الكتب الموجَّهة للمراهقين[٢]، فالكتابة لمن هم في هذه المرحلة العمرية صعبة، وكثير من الموجود غير جذاب أو غير ملائم، ولهذا فإن على الآباء أن يبحثوا بأنفسهم عن الكتب والقصص والروايات الجيدة والمناسبة كي يشتروها لأولادهم، وأن ينصحوهم بشرائها، ويمكن استشارة بعض التربويين في ذلك.

علينا أن نساعد أبناءنا على توفير وقت للقراءة، وهذا يكون بتقليل طلباتنا منهم، حيث إن هناك من الآباء والأمهات من يثقلون كاهل أبنائهم المراهقين بقضاء حاجات لا تنتهي، علينا أيضاً ضبط استخدام الجوال و(النت) ومشاهدة التلفاز، أنا أعرف أن سيطرتنا على المراهقين في هذه الأمور أصعب بكثير من سيطرتنا على الأطفال، لكن لابد من شيء من الرقابة والمتابعة والتحديد لساعات المشاهدة والاستخدام، وإلا فلن يجد الفتيان والفتيات أي وقت للمطالعة الحرة.

إذا استطعت أن يدرس ولدك المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية في مدرسة ممتازة، فافعل، ولو أنفقت الكثير من المال، حيث إن المدرسة الجادة والتي تقدم تعليماً متفوقاً تزرع الأمل في الطلاب، وتدفعهم للقراءة من خلال متطلباتها التعليمية، حيث ثبت أن كثيراً من

٢- للمؤلف محاولة متواضعة في هذا، هي عبارة عن كتاب بعنوان: «إلى أبنائي وبناتي: خمسون شمعة لإضاءة دروبكم» لقي بحمد الله قبولاً حسناً.

المراهقين ينحرفون سلوكياً، ولا ينجذبون إلى القراءة بسبب المدارس الضعيفة التي يدرسون فيها.

ينجذب المراهقون إلى قراءة أدب البطولات كما ينجذبون إلى قراءة أخبار الجرائم والفضائح والمغامرات، ويمكن للأهل المساعدة في اختيار بعض الكتب التي تترجم للعظماء من أبناء هذه الأمة، كما أن كتب (تنمية الشخصية) و (تطوير الذات) من الكتب التي تشد المراهقين، ويمكن أيضاً اختيار الكتب الجيدة منها، وهي- بحمد الله- كثيرة. وأعتقد أن مما يشبع الرغبة في التشوق إلى التفوق والعظمة والاستقلالية، الاجتماع بالعلماء والمفكرين والمبدعين الكبار وأصحاب التجارب الناجحة، وكم هو جميل أن تنظِّم المدارس وبعض الجمعيات الخيرية ومراكز الأحياء لقاءات مع هؤلاء كي يستفيد منهم المراهقون، و يقبسوا من أرواحهم وتجاربهم، ولا سيما أن مرحلة المراهقة هي مرحلة (تعلق) روحي، وشيء جيد توظيف ذلك في تقوية الصلة بكل من ننظر إليه على أنه قدوة.

ذكرت باستفاضة أهمية وجود مكتبة في المنزل، وأضيف هنا أهمية وجود برنامج للقراءة يشترك فيه الأبوان والشباب والمراهقون داخل الأسرة، هناك بعض الأسر خاضت تجارب ناجحة وجميلة في هذا، وعلى سبيل المثال فقد اتفق من هم فوق الرابعة عشرة في إحدى الأسر على اختيار كتاب يناسب الجميع، ثم يقومون بقراءته خلال شهر، ثم يعقدون جلسة لتبادل الأفكار حول الكتاب حيث كانت الأم أستاذة للأدب في إحدى الجامعات، وكان الأب محامياً، وقد كانت الأم حريصة على جعل اللقاء بهيجاً من خلال توفير بعض الحلوى المفضلة، وقد استمر ذلك البرنامج نحو ست سنوات، وقد

تمكنت هذه الأسرة من قراءة نحو خمسة وستين كتاباً في علوم شتى، وحين أجريت مسابقة علمية للأسر المثقفة في مدينتهم أحرزت هذه الأسرة المرتبة الأولى، وصار معظم الأولاد فيما بعد ممن يشار إليه بالبنان!.

قد لا تستطيع الأسرة جعل أبنائها وبناتها يقرؤون على النحو المطلوب، وفي هذه الحالة سيكون من الجيد التشجيع والمساعدة على بعض الأنشطة المحفزة على القراءة، وذلك مثل تسجيل الفتى في رحلة علمية وتربوية يرتبها بعض التربويين المعروفين، وهذه الرحلات موجودة الآن ومفيدة، كذلك تشجيع الأبناء والبنات على حضور بعض الدورات التدريبية التي تهتم بتنمية الشخصية ... أحد الآباء التقى بأصدقاء ابنه وحثهم على تشكيل رابطة صغيرة تهتم بطرح برامج للقراءة وإعارة الكتب، وقد تطورت هذه الرابطة الصغيرة لتتحول إلى نادي كبير للقراءة ينتسب إليه أكثر من مئتي شاب من أبناء المدينة!.

إذا كان هناك شيء نخشى على أبنائنا منه، فهو الرفاق السيئون والكسالى وكل أولئك الذين ليس لديهم طموحات وأهداف عظيمة، إن هناك العديد من الدراسات والمشاهدات التي تؤكد على أن ما يزيد على ٧٠٪ من انحراف المراهقين كان بسبب رفاقهم، كما أن الرفاق الكسالى يزينون لبعضهم ترك المدرسة والانصراف إلى الأعمال المهنية، والانصراف إلى اللهو واللعب والعبث بكل أشكاله، ولهذا فإن علينا أن نحرص الحرص كله على أن يكون رفاق أبنائنا مستقيمين وجادين ومجتهدين، فالصاحب ساحب، والمرء على دين خليله. من المهم إذا رأينا المراهق معرضاً عن القراءة أن لا نقطع

الأمل، ونظل نحاول حتى يُقبل عليها، فتقلُّب المزاج سمة من سمات المراهقين.

إن مشكلة إعراض الصغار والكبار عن القراءة تشكل ظاهرة كبرى، والظواهر الكبرى لا تُفسَّر بسبب أو عامل واحد، كما أننا لا نستطيع التعامل معها بأسلوب واحد، وإنما لابد من اللجوء إلى ما نسميه (الحلول المركبة) حيث إننا من خلال مجموعة من الحلول والأساليب والوسائل نتغلب على المشكلات الكبرى أو نحد من انتشارها.

والله المؤمَّل والمرتجى لكل خير، وهو حسبنا ونعم الوكيل. «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً» وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملحق قصص وحكايات للأطفال
«سن ما قبل المدرسة»

القصة	المؤلف	دار النشر
حكايات جدتي	أحمد الكبيسي	دار المطبوعات الحديثة/ جدة
أسمِعني حكاية	يحيى حاج يحيى	دار المطبوعات الحديثة/ جدة
حكايات روضة البراعم	محمد موفق سليمة	دار الهد ى/ الرياض
حكايات قبل النوم	بدر العبدان	النادي الأدبي/ المدينة المنورة
مجموعة قصص الأطفال	عبد الحفيظ الشمري	النادي الأدبي/ حائل
سلسة الكاتب الصغير	عمر الصاوي	مكتبة العبيكان/ الرياض
حكاياتي الجميلة	أسماء محمد مصطفى	دار سفير/ القاهرة
مغامرات فرفور	ترجمة سحر عاصي	دار المؤلف/ بيروت



حكايات وقصص لأطفال الصفوف الدنيا من المرحلة الابتدائية

القصة	المؤلف	دار النشر
سلسلة ألوية الإيمان	الدعاس/ البابا	دار ربيع/ حلب
آية وحكاية	سمير حلبي	دار سفير/ القاهرة
سلسة أطفالنا	عدد من المؤلفين	الإغاثة الإسلامية/ الرياض
مغامرات عصفور	عبد الجواد الحمزاوي	مكتبة العبيكان/ الرياض
شيماء	حسن القشتول	مكتبة العبيكان/ الرياض
باقة ياسمين	علي نار ترجمة شمس الدين درمش	مكتبة العبيكان/ الرياض
قصص التلوين	لجنة التأليف والترجمة	مكتبة العبيكان/ الرياض
حكايات النورس	محمد جمال عمر	مؤسسة الوفاء/ الخرطوم
من روائع القصص	مركز أجيال المستقبل	دار القاسم/ الرياض
قصص الأنبياء	أحمد زغلول	دار سفير/ القاهرة

قصص و حكايات لأطفال الصفوف العليا من المرحلة الابتدائية

القصة	المؤلف	دار النشر
بنات النبي	محمد موفق سليمة	دار الهدى/ الرياض
حكايات الرسالة	داود سليمان العبيدي	مؤسسة الرسالة/ بيروت
حكايات العم حكيم	مجموعة من المؤلفين	دار المنهل/عمَان
حكايات قرآنية معاصرة	عبد التواب يوسف	دار الفكر/ دمشق
قصص آداب الإسلام	عدد من المؤلفين	الإغاثة الإسلامية/ الرياض
قصص من الحياة	فردوس ألفين	الدار الشامية/ بيروت
قصص طريفة من الأحاديث الشريفة	عبد التواب يوسف	دار الفكر/ دمشق
طفولة عظماء الإسلام	أحمد سويلم	دا سفير/ دمشق

حياة الخليل إبراهيم	عبد التواب يوسف	دار الكتب الإسلامية/ القاهرة
القصص النبوي (مصورة)	عدد من المؤلفين	دار سفير/ القاهرة

قصص وحكايات للمراهقين

القصة	المؤلف	دار النشر
كتاب الشباب مجموعة قصص	أحمد عبد السلام البقالي	مكتبة العبيكان/ الرياض
قصص القرآن	محمد موفق سليمة	دار الهدى/ الرياض
سلسلة فتيان لكن أبطال	خليل الصمادي	مكتبة العبيكان/ الرياض
فتى الإسلام (شعر)	مصطفى عكرمة	مكتبة العبيكان/ الرياض
مسرحيات شعرية للناشئين	يحيى حاج يحيى	دار المطبوعات الحديثة
قصص من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه	محمد علي دولة	دار القلم/
سلسلة كلمة من القرآن الكريم	شريف الراس	دار الجيل ودار القبس

سلسلة منهاج المسلم	مؤلفون	دار سفير/ دمشق
سلسلة شمس الهدى والإيمان	محمد كمال	دار ربيع/ حلب

فهرس الموضوعات

